عمادة الدراسات العليا
جامعة القدس

"الفجوات الفنية في القصة القرآنية"

آلاء إياد محمد زهير حجازي

رسالة ماجستير

القدس– فلسطين

1444هـ / 2023م.

الفجوات الفنية في القصة القرآنية.

إعداد:

آلاء إياد محمد زهير حجازي

بكالوريوس الدعوة وأصول الدين من جامعة القدس – فلسطين

المشرف: الدكتور محمد الديك

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين كلية الدراسات العليا برنامج أصول الدين/ جامعة القدس

1444هـ /2023م.

جامعة القُدْس
عَمَادة الدِّراسَات العُليَا
برنامج الدعوة وأصول الدين

إجازة الرِّسَالة

الفجوات الفنية في القصة القرآنية

اسم الطالب: آلاء إياد محمد زهير حجازي
الرقم الجامعي: 21512602

المشرف: د. محمد الديك

نوقشت هذه الرسالة وأُجيزت بتاريخ 2023/2/1م من أعْضَاء لِجْنة المُنَاقَشَة المُدْرجة أسماؤهم

وتواقيعهم:

1. رَئيسُ لجْنةِ المُنَاقَشَة: د. محمد الديك التوقيع:.....
2. مُمْتَحنًا داخِليًا: د. موسى البسيط التوقيع: .....
3. مُمْتَحنًا خَارجِيًا: د.حازم زيود التوقيع: .....

القُدْس _ فِلَسْطين

1444هـ/2023م

الإهداء

إلى من ربياني وعلماني وصحباني في الصغر والكبر أعظم صحبة والدي الكريمين، أطال الله بقاءهما ورحمهما كما ربياني صغيراً.

إلى إخوتي، وأخواتي، وزوجي، وذريتي، وصديقاتي، ومن له حق علي جزاهم الله الخير في الدنيا والآخرة.

إلى كل معلم وطالب علم أهدي هذا العمل عسى الله أن ينفعنا به جميعاً.

آلاء إياد محمد زهير حجازي.

إقْرارٌ

أُقرُّ أنا مُعدُّة هذه الرِّسَالة أنَّها قُدِّمَت إلَى جَامعَة القُدْس؛ لنَيْلِ دَرجَة المَاجِسْتير، وأنَّها نتيجة أبْحَاثي الخاصَّة باسْتثناء ما تمَّت الإشارة له حيثما ورد، وأَن هذه الدِّراسة، أو أي جزء منها، لم يُقدَّم لنيل درجة عليا لأي جَامعة أو مَعْهد آخر.

التَّوقيع: .....

آلاء إياد محمد زهير حجازي

التَّاريخ: 1/ 2023/2

شكر وعرفان

أشكر الله عز وجل أن منّ عليّ وأعانني على إتمام هذا العمل، وأسأله تعالى أن يكون نافعاً خالصاً لوجهه الكريم.

كما وأتقدم بالشكر والعرفان لجامعة القدس ممثلة بعمادة الدراسات العليا، ويمتد الشكر لمنسقي برنامج أصول الدين، وأعضاء الهيئة التدريسيّة فيه، وكل من علمني علمًا نافعًا.

وأخص بالشّكر والتّقدير الدّكتور محمّد الدّيك المشرف على هذه الرّسالة، فجزاه الله خير الجزاء وجعل ذلك في ميزان حسناته.

كما وأشكر والديّ الكريمين على ما قدماه من دعم مادي ومعنوي طيلة مرحلة الدّراسة.

والشّكر موصول لكلّ من ساعدني في إخراج هذا العمل ولو بكلمة طيّبة فجزاهم الله عني خير الجزاء.
والحمد لله رب العالمين.

آلاء إياد محمد زهير حجازي.

ملخص

تناولت هذه الدراسة الموسومة بـ:" الفجوات الفنية في القصة القرآنية"، الفراغات السردية في القصة القرآنية، وحذف بعض الأحداث والجمل خلالها، وموضوعها العام هو: التفسير، وبلاغة القصة القرآنية، من خلال: بيان مصطلح الفجوات الفنية في القصة القرآنية، ونشأته، والمواضيع التي يبحثها، كما بيّنت أغراض وجود هذه الفجوات في القصة القرآنية، سواء كانت هذه الأغراض فنيّة أو دينيّة، مستعينةً بأمثلة متنوعة من سائر القصص في كتاب الله عز وجل، توضّح المقصد، وتجلّي المفاهيم، كما أنّ الرّسالة قد جلّت أقسام الفجوات وأنواعها في القصص القرآني، مبيّنة الهدف من كل قسم منها، وأخيراً كيفيّة ملء هذه الفجوات، بطريقة تطابق أصول التفسير الصحيح المعتمد.

كل ذلك كان من خلال استخدام المنهج الاستقرائيّ التحليليّ والوصفيّ، بالرّجوع لكتاب الله سبحانه وكتب التفسير والقصة في القرآن الكريم كمراجع أساسيّة، وكذلك بالرّجوع لبعض كتب الحديث، والبلاغة، واللّغة، وعلوم القرآن.

وقد هدفت الدّراسة إلى: تعريف الفجوة الفنية في القصة القرآنية، وبيان أسباب وجودها في القصة القرآنية، وكيفية ورودها فيها، وكيفية ملئها حسب أصول التفسير.

وقد خلصت الدراسة إلى: أنّ مصطلح الفجوات الفنيّة مصطلح حديث إلّا أنّه في محتواه قديم قدم تفسير القرآن الكريم.

وأنّ أغراض الفجوات الفنية بقسميها الفنيّ والدينيّ متداخلة، مكمّلة لبعضها في الفجوات، إذ أنّ الغرض منها إيصال الفكرة الدينية بصورة فنية بديعة.

وأنّه لا يجوز العبث بملء الفجوات في القصة القرآنية دونما علم وقدرة على الاجتهاد.
والحمد لله رب العالمين.

The technical gaps present in the Qur'an

Prepared by: Alaa Iyad Mohamad Hijazi

Supervisor: Dr. Mohammad Al-Deik

Abstract

This research was conducted with the goal of obtaining a master's degree in the principles of religion. Its focus is on the technical gaps, or narrative gaps, present in the Qur'an. The method used includes inference and analysis, with the Qur'an and its interpretive texts serving as primary references, as well as some books on Hadith, rhetoric, language, and the science of the Qur'an. The research aims to understand the purpose of these gaps and how they can be filled according to the principles of correct interpretation.

This research is primarily interpretive in nature and focuses on the eloquence of the Qur'an's narrative. It does not rely on language books and literature as primary references, but rather uses the Qur'an and its interpretive texts, as well as other relevant texts such as Hadith, rhetoric, and the science of the Qur'an. The focus is on the origins of religion rather than on the Arabic language itself.

In this research, the term "artistic gaps" in the Qur'anic story is examined, including its origins and the topics it investigates. The research aims to understand the reasons for the existence of these gaps and whether they serve artistic or religious purposes. To support its arguments, the research uses various examples from other stories in the Qur'an.

This research identifies the categories and types of gaps in the Qur'anic stories and explains the purpose of each type. It also discusses how to fill these gaps in a way that aligns with the principles of correct interpretation.

This research provides numerous examples from the Qur'an to support its arguments and to illustrate its points. These examples are essential to the research as they help to clarify the meaning of the study and reveal the beauty and rhetorical wonders of the Qur'an. These examples are just as important as any other section of the research and are crucial to achieving the goal of deepening the reader's understanding and appreciation of the Qur'an.

The final phrase of this research is a statement of praise to Allah, the lord of the world.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:
يقول الله تبارك وتعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ)[1]، وحسن قصص القرآن حسن فنيّ بأسلوب عرضه وجمال بيانه، وحسن موضوعيّ، حيث يعرض لنا أخبارًا أو معلومات عن التّاريخ الماضي وأحداثه، وكل موضوعاته تصب في الغرض من إنزال القرآن، ألا وهو الهداية، وحسن أخلاقي، لأن كل ما فيه حق وصدق، لا كذب فيه ولا تصرف بزيادة أو نقصان[2] .

إن القصة القرآنية قصة واقعيّة لا يرد فيها إلا ما هو صدق وحق، ولا يختلجها تأليف ولا خيال، وإن إسقاط دراستها على دراسة القصة الأدبية جعل بعض الدّارسين ينسب لها ما نزهت عنه من خيال وعدم واقعية، وهو قول لا يقوله مؤمن عاقل، ولا يليق بجلال الله تعالى، ولا بما سيقت القصص القرآني لأجله[3]، "فليس القصص القرآني إلا القرآن الكريم في صدقه المطلق في كل لمحة منه، وفي كل إشارة له من بعيد أو قريب"[4]. قال تعالى: (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[5].

وبناءً على تقرير صدق القرآن الكريم في قصصه وواقعيّته، فقصصه وثيقة تاريخيّة جاءت بتاريخ لا تشوبه شائبة في الأشخاص والأحداث والأزمان والأماكن[6].

---

[1] يوسف:3.

[2] الخالدي، صلاح، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، (29/1)، دار القلم، دمشق، ط1، 1419هـ. (بتصرف).

[3] القطان، مناع بن خليل، مباحث في علوم القرآن، ص320، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 1421هـ. (بتصرف)

[4] الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، ص11، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1975م(بتصرف).

[5] فصلت: 42.

[6] الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، ص39، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1975م.

وهي في واقعيّتها وصدقها تعرض بأسلوب تصويريّ بديع، ينقل القارئ من موقعه إلى موقع المشاهد الحاضر للحادثة، حتى كأنها تجري في زمنه لا في زمنها، مما يجعله أكثر تأثراً وأشدّ انتباهاً[7].
وهي في كل هذا جاءت لغرض دينيّ واضح، تتبع هدفها، ولا تتبع شروط العمل الفني والقصة الأدبيّة، فالفن فيها ليس مقصودًا لذاته[8]، بل جاء داعمًا لبلاغة وصول الهدف الدينيّ، ودالاً على الإعجاز الفنيّ البلاغيّ في القرآن الكريم.

وفي هذه الرّسالة أعرض فناً من فنون عرض القصة القرآنيّة، والذي يخدم الهدف الدينيّ من سياقها في القرآن الكريم، ألا وهو أسلوب "الفجوة الفنيّة".

أهميّة الدّراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تبحث ظاهرةً من الظّواهر الفنيّة في القصّة القرآنيّة، وجمع هذه الظاهرة بين هدفين جليلين: الهدف الفني، والهدف الديني، بما فيها من إعجاز بلاغيّ أخّاذ، فهي بدورها تخدم موضوع إعجاز القرآن الكريم، هذا الموضوع الذي يدور عليه مدار الدين ويثبت صدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن رب العالمين.

أسباب الدّراسة:

1- ما تقدم من أهميّة الدّراسة، فهي تبيّن وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وتوضّح ارتباط الهدف الدّيني بالهدف الفنيّ في القصّة القرآنيّة.
2- محاولة لخدمة موضوع القصة القرآنية.
3- قلة الدراسات المتخصصة في هذا الموضوع، واجتهاد مني في إكمال مسيرة من سبقني إليه.

مشكلة الدّراسة:

يظهر لقارئ القصة في القرآن الكريم فجوات في السّرد القصصيّ، بحيث تحذف بعض المشاهد من القصة القرآنية، فيظنها البعض نقصًا أو خللًا في رصانة السّرد القصصيّ، ومن خلال هذه المشكلة لخصت فيما يلي أسئلة الدّراسة:
1- ما هو تعريف الفجوة الفنيّة في القصّة القرآنيّة؟ ومن هو أوّل من أنشأ هذا المصطلح؟

---

[7] ينظر البغا، مصطفى ديب، ومحيي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، ص190، دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية، دمشق، ط2، 1418هـ.

[8] البوطي، محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، ص195، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ(بتصرف).

2- ما هي أسباب وجود الفجوة الفنية في القصّة القرآنيّة؟
3- كيف ترد الفجوة الفنيّة في القصّة القرآنيّة؟
4- كيف تملأ فجوات القصّة القرآنيّة؟
5- هل لقارئ القرآن غير المتخصص أن يجتهد في ملء الفجوة الفنية في القصّة القرآنيّة؟

أهداف الدّراسة:

1- أن أعرّف الفجوة الفنيّة في القصّة القرآنيّة.
2- أن أبيّن أسباب وجود الفجوة الفنيّة في القصّة القرآنية.
3- أن أوضّح كيفيّة ورود الفجوة الفنية في القصّة القرآنيّة.
4- أن أوضّح كيفيّة ملء فجوات القصّة القرآنيّة.

المنهج المتّبع في الدّراسة:

نهجت في هذه الرّسالة المنهج الاستنباطيّ التحليليّ، والوصفيّ والاستقرائيّ، حيث درست موضوع القصّة القرآنيّة، وتحديداً إشارات العلماء لظاهرة الفجوة الفنيّة فيها، وأسباب وجودها، ثم طفقت أستقرئ قصص القرآن الكريم بعين تحليليّة لما قد تحتوي من فجوات فنيّة، مراجعة في ذلك كتب التفسير، ومحاولة تطبيق ما توصلت إليه على ما جاء من أقوال العلماء والباحثين في هذا الموضوع، مضيفة إليها بعض الملاحظات المبنية على ما درست من علومهم، وما لاحظت من تحليلي لهذه الظاهرة في القصّة القرآنيّة.

ثم اتبعت في كل هذا المنهج العلميّ في التّوثيق وعزو الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، ونسبة الأقوال إلى قائليها، والترجمة للأعلام، وبيان معاني الألفاظ الغريبة، وإثبات الفهارس في نهايته.

الدّراسات السّابقة:

أولاً: التّصوير الفنيّ في القرآن الكريم لسيّد قطب.
وفيه كثيراً من المسائل المهمّة الّتي تتعلّق بالقصّة القرآنيّة، خصوصاً ما يتعلّق منها بموضوع الأدب والتّذوق اللغويّ، ومنها فجوات القصّة القرآنيّة.

ثانياً: القصص القرآنيّ في منطوقه ومفهومه للدكتور عبد الكريم الخطيب.

ودرس فيه عناصر القصّة القرآنيّة، والحركة والحوار في القصّة القرآنيّة، والتّكرار في القصّة القرآنيّة، وكلها تخدم موضوع بحثي في التّعريف بالقصّة القرآنيّة، وأمثلة للفجوات الفنيّة في القصّة، وبعض أغراضها في القرآن الكريم.

ثالثاً: بلاغة مقام القصّ القرآنيّ سورة يوسف أنموذجاً للباحث عزوز سطوف.
وقد درس فيها الإضمار والإيجاز وحذف الأحداث بين مشاهد القصّة القرآنيّة، وكلها تدل على الفجوات في القصّة القرآنيّة، واستفدت من رسالته كما هو واضح في المراجع لديّ.

رابعاً: أسس بناء القصّة من القرآن الكريم دراسة أدبيّة ونقديّة للدّكتور محمد عبد الإله دبّور.
ودرس فيها القصص القرآني، وتناسبه وغايات التّنزيل، وأسرار انتقاء الحداث في القصّة القرآنيّة، والتّكرار في القصص والغرض منه، كما تناول البناء الفنيّ للقصّة القرآنيّة بالدّراسة، بما يحتوي من مشاهد وأحداث وشخوص، وحوار وسرد.
كل هذا يتقاطع مع موضوع بحثي، وقد استفدت منه كثيرا، في موضوع الأغراض الدّينية والفنيّة من الفجوات، كما هو مبيّن في مراجع البحث.

خامساً: بلاغة السّرد القصصيّ في القرآن الكريم للدّكتور محمد مشرف خضر.
وفيها درس الكاتب القصّة القرآنيّة بوصفها خطابًا ذا شكل خاص يتوجه به سارد إلى مسرود له، وقد تناول هذه الخصوصية من خلال المنظومة الثلاثيّة: الزّمن، والصّيغة، والرّؤية السّرديّة.
ومن خلالها تعرض لمواضيع هامة تخص البحث، أهمها ذكر بعض الأغراض الدّينيّة والفنيّة للفجوة، دون ذكره للفجوة، وإنما بالتوسع في شرح زمن وصيغة وسرد القصّة في القرآن.

سادساً: بدائع الإضمار القصصيّ في القرآن الكريم، للدكتور كاظم الظّواهريّ.
تعرض لموضوع الغرض الدّينيّ من الفجوات في القصّة، وسلّط الضّوء على الأغراض الفنيّة من وجود الفجوات في القرآن–أو كما يسميه "الاضمار"– وكذلك قسّم الفجوات إلى مكانيّة وزمانيّة ومكانيّة وزمانية معا. هذا فيما يتعلّق بموضوع البحث.
لكن دراسته كانت أشمل وأوسع، إذ هو يتحدث عن "الإضمار" بما فيه حذف فعل، أو شبه جملة، وحديثي في البحث هذا عن حذف " أحداث" أي جمل ضمن القصّة القرآنيّة.

ومن كل هذه الدّراسات استفدت واقتبست وهذا واضح في البحث، إلا أن ترتيب البحث والتركيز على موضوعه مع الزّيادة عليه هو الجديد في بحثي هذا، إذ أن ذكر الدّراسات السّابقة له كان عارضًا ضمن الدّراسة ولم يكن موضوعها الأساسيّ.

هيكليّة الرّسالة:

وتحتوي على فصل تمهيديّ، وثلاثة فصول أخرى على النّحو التّالي:

الفصل التّمهيديّ للرّسالة

المبحث الأوّل: مفهوم القصّة

المبحث الثّاني: من أغراض القصص في القرآن

المبحث الثّالث: من ميزات القصص القرآني

المبحث الرّابع: عناصر القصة القرآنية، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأوّل: عنصر الشخصية

المطلب الثّاني: الأحداث في القصّة القرآنيّة

المطلب الثّالث: عنصر الزّمن.

المطلب الرّابع: عنصر المكان.

المطلب الخامس: عنصر الفكرة.

المطلب السّادس: عنصر السّرد القصصيّ.

المبحث الخامس: تعريف الفجوة الفنيّة، ونشأة المصطلح، وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل: تعريف الفجوة الفنيّة .

المطلب الثّاني: نشأة المصطلح.

المبحث السّادس: بلاغة أسلوب الفجوة .

الفصل الأوّل: أغراض الفجوات في القصّة القرآنيّة ، وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: الأغراض الفنيّة، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأوّل : الإيجاز.

المطلب الثّاني: إثارة الخواطر وحفز حاسة التأويل لدى المتلقي.

المطلب الثّالث: إحياء المشاهد وتحقيق الحضور لها.

المطلب الرّابع: إثارة عنصر المفاجأة.

المطلب الخامس: بيان اللهفة.

المبحث الثّاني: الأغراض الدّينيّة للفجوة الفنيّة، وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأوّل: التّناسق مع السّياق.

المطلب الثّاني: وصف الحدث، والتّعليق عليه.

المطلب الثّالث: التّعظيم، والتّحقير.

المطلب الرّابع: عدم تشتيت السّامع.

المطلب الخامس: بيان السّرعة.
المطلب السّادس: بيان حتميّة نفاذ القدرة الإلهية.
المطلب السّابع: رعاية مقام النّبوة وتنزيهها عن الزّلل.
المطلب الثّامن: بيان شدّة عجز الآلهة.
الفصل الثّاني: تقسيم الفجوات، وفيه ثلاثة مباحث:
المبحث الأوّل: تقسيم الفجوات بحسب أثرها في الزّمان والمكان، وفيه مطلبان:
المطلب الأوّل: الفجوة الزّمانيّة.
المطلب الثّاني: الفجوة الزّمانية والمكانيّة معًا.
المبحث الثاني: تقسيم الفجوات بالنسبة لموضعها من القصة، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: الفجوة الابتدائية.
المطلب الثاني: الفجوة في وسط الأحداث والفجوة الختامية .
المبحث الثالث: تقسيم الفجوات بالنسبة لطولها، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: الفجوة الطويلة.
المطلب الثاني: الفجوة القصيرة.
الفصل الثالث : ملء فجوات القصة القرآنية ، وفيه مبحثان:
المبحث الأول: ملء الفجوات بالقرآن، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: ملء الفجوات بالقرآن صراحة.
المطلب الثاني: ملء الفجوات بالقرآن دلالة.
المبحث الثاني: ملء الفراغ بالرواية، وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
المطلب الثاني: النقل عن الصحابة.
المطلب الثالث: النقل عن التابعين.
المطلب الرابع: الإسرائيليات، وما لا يعلم أصله.

الفصل التمهيدي

تنوعت أساليب القرآن الكريم في عرض العبر والتوجيهات الإلهية، وفقا لتنوع العقول والأفهام، وطردا للسآمة والملل، وكان من هذه الأساليب الرائعة أسلوب القصة، التي يكاد يجمع عليها الكبير والصغير حباً وانجذاباً، فما هي القصة القرآنية؟ وما أهمية وجودها كأسلوب من أساليب القرآن ؟

المبحث الأول: مفهوم القصة.

القصة في اللغة أصلها: (قَصَّ) والْقَافُ وَالصَّادُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَتَبُّعِ الشَّيْءِ.

مِنْ ذَلِكَ قَوْلهم: اقْتَصَصْتُ الْأَثَرَ، إِذَا تَتَبَّعْتُهُ. قَالَ الله عز وَجل: (فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا)[1]، (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ)[2]، ومنه: اشْتِقَاقُ الْقِصَاصِ فِي الْجِرَاحِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُفْعَلُ بِهِ مِثْلُ فِعْلِهِ بِالْأَوَّلِ، فَكَأَنَّهُ اقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَأَمَّا الصَّدْرُ فَهُوَ الْقَصُّ، وهو على قياسه، لِأَنَّهُ مُتَسَاوِي الْعِظَامِ، كَأَنَّ كُلَّ عَظْمٍ مِنْهَا يُتْبَعُ لِلْآخَرِ، ومنه: قَصَصْتُ الشَّعْرَ، وَذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا قَصَصْتَهُ فَقَدْ سَوَّيْتَ بَيْنَ كُلِّ شَعْرَةٍ وَأُخْتِهَا، فَصَارَتِ الْوَاحِدَةُ كَأَنَّهَا تَابِعَةٌ لِلْأُخْرَى مُسَاوِيَةٌ لَهَا فِي طَرِيقِهَا.

والْقَصِيصِيَّةُ مِنَ الْإِبِلِ: الْبَعِيرُ يَقُصُّ أَثَرَ الرِّكَابِ. ومنه الْقِصَّةُ وَالْقَصَصُ، وهي الأمر والحديث والرواية، كُلُّ ذَلِكَ يُتَتَبَّعُ فَيُذْكَرُ[3]. "وَيُقَالُ: فِي رأْسه قِصّةٌ يَعْنِي الْجُمْلَةَ مِنَ الْكَلَامِ، ونحوُه قَوْلُهُ تَعَالَى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ)[4]؛ أَي نُبَيّن لَكَ أَحسن الْبَيَانِ"[5].

فأصل القصّ في اللغة التتبع، وفي معظم اشتقاقاتها اللغوية نلحظ معنى تتبع الأثر، وهو ما نلحظه أيضا في معنى **القصة القرآنية، فهي:**

---

[1] الكهف: 64.

[2] القصص:11.

[3] ينظر ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تح. عبد السلام محمد هارون، (11/5)، دار الفكر، د.ط، 1399هـ.و ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، جمهرة اللغة، تح. رمزي منير بعلبكي، (142/1)، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م. و الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح. أحمد عبد الغفور عطار، (1051/3)، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ. والزمخشري، جار الله محمود بن عمرو، أساس البلاغة، تح. محمد باسل عيون السود، (82/2)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ.

[4] يوسف:3.

[5] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، (73/7)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

تتبع أحداث ماضية واقعة، والكشف عن آثارها التي نسيها الناس أو غفلوا عنها، وغاية ما يراد بهذا الكشف هو إعادة عرضها من جديد، لتذكير الناس بها وإلفاتهم إليها، ليكون لهم منها عبرة وموعظة[1].

والقصة القرآنية ليست كالقصة الأدبية المتعارف عليها، فهي تساق للعبرة والعظة تحديداً، وتنسجم مع سياق الآيات انسجاماً تاماً، وهي بذلك لا ينطبق عليها ما سيقت القصة الأدبية له، ولا تسرد كسردها، فهي مغايرة لها في الأسلوب والغرض، ولا تقاس عليها البتة[2].

المبحث الثاني: من أغراض القصص في القرآن:

أغراض القصص في القرآن من الصعب استقصاؤها، لأنها تكاد تتسرب إلى أغراض القرآن كلها[3]، أذكر منها هنا:

- التنويع في أسلوب عرض القرآن، حتى لا تحصل الملالة من طول العرض بأسلوب واحد، ولينشط قارئ القرآن أو سامعه، وينشرح صدره ويطيب قلبه، ويجد في نفسه رغبة وميلاً قوياً، لأن يقرأ، أو يسمع المزيد[4].
- ترسيخ العبر في نفس قارئ القرآن من خلال أسلوب أدبي جميل، وهو القصة، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}[5]
- إيضاح أسس الدعوة إلى الله، وبيان أصول الشرائع التي بعث بها كل نبي، بحسب ما جاءت به قصصهم في القرآن.
- تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم[6].
- تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى من الأذى في سبيل الدعوة، إذ أنّ قومه شابهوا من قبلهم من سائر الأمم في تكذيبهم وإنكارهم، وندب له صلى الله عليه وسلم لأن يستن

---

[1] ينظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، ص47-48، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1975م.

[2] النبهان، محمد فاروق، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، ص253، دار عالم القرآن، حلب، ط1، 1426هـ(بتصرف).

[3] انظر قطب، سيد، التصوير الفني في القران الكريم، ص144، دار الشروق، القاهرة، ط16، 2002م.

[4] انظر الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، (282/17)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

[5] يوسف: 111.

[6] انظر القطان، مناع بن خليل، مباحث في علوم القرآن، ص317-318، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 1421هـ.

بمن سبقه من أولي العزم من الرسل، بالصبر وتحمل الأذى، وإشارة له صلى الله عليه وسلم بسنة الله تعالى في إهلاك الكافرين المتمردين، وغلبة الرسل عليهم[1].

• أنّ الكفار إذا سمعوا هذه القصص، علموا أنّ الجهال، وإن بالغوا في إيذاء الأنبياء المتقدمين إلا أنّ الله تعالى أعانهم بالآخرة ونصرهم وأيدهم وقهر أعداءهم، كان سماع هؤلاء الكفار لأمثال هذه القصص سبباً لانكسار قلوبهم، ووقوع الخوف والوجل في صدورهم، وحينئذ يقللون من أنواع الإيذاء والسفاهة.

• تصديقٌ للنبي صلى الله عليه وسلم في رسالته، إذ كيف ينقل قصص السابقين، نقلاً صادقاً موافقاً للأحداث التاريخية، دون اطلاع منه في كتب السابقين، فهو دليلٌ على أنّه إنّما عرفها بالوحي[2].

• وعظ الناس وإرشادهم، بما تتضمن القصص من عظات وعبر، وما يتخللها من تذكير وتبصير، وما تنتهي إليه من النتائج والعظات، قال تعالى: (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[3] [4]

• في قصص القرآن توضيح ديني تاريخي بما يتعلق بنشأة الدين الرباني التوحيدي، ووجوده منذ أوجد الله الإنسان، ودحض ما قيل في نشأة الأديان من تطورها بتطور الإنسان، وأنه تصور لنفسه دينًا وآلهة بدافع الخوف والرهبة من مظاهر الطبيعة، والعجز عن تفسيرها، فجعل للريح إلهاً، وللمطر إلهًا، وللخصب إلهًا وصنع التماثيل لهذه الآلهة وعبدها، ثم تطور لاحقاً وعبد الآلهة، واصلاً في تطوره لعبادة إله واحد! فقصص القرآن قد أوضحت وأجابت على سؤال نشأة الدين بقصة خلق آدم وزوجه وهبوطهما إلى الأرض بهذا الدين العظيم، قال تعالى: (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْها جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)[65].

---

[1] ينظر الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تح. أحمد محمد شاكر، (614/21)، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ.

[2] الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، (282/17-283)، (بتصرف).

[3] الأعراف 176.

[4] ينظر أبو ستيت، الشحات محمد عبد الرحمن، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، ص9، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1412هـ.

[5] البقرة: 38.

[6] انظر عتر، نور الدين محمد، علوم القرآن الكريم، ص243، مطبعة الصباح، دمشق، ط1، 1414هـ.

المبحث الثالث: عناصر القصة القرآنية:

وعناصر القصة القرآنية هي ذاتها عناصر القصة الأدبية، وهي: الأحداث، والشخصيات، والزمان والمكان، والسرد القصصي، والفكرة[1].
وهنا تفصيلٌ بسيطٌ عن هذه العناصر، بما يفيد مادة البحث:

المطلب الأول: عنصر الشخصية:

وهي الشخصية أو الأشخاص التي تدور الأحداث حولهم.
وعندما نتحدث عن الشخصية القرآنية، فنحن نتحدث عن شاهدٍ من شواهد الإنسانية، في قوتها أو ضعفها، وفي استقامتها أو انحرافها، وفي هداها أو ضلالها، وفي رشدها أو غيها، هذا الشاهد مكررٌ في الأنفس البشرية حتى قيام الساعة، لهذا فشخصيات القصص القرآني غير مقصودةٍ لذاتها، فبالتالي تراها تعرض في معارض كثيرة، حيث تستدعيها الأحداث والمواقف، وتجد كثيراً من الشخصيات تأخذ مواقف متعددة في القرآن الكريم، وذلك في أزمنة متباعدة في عرض القرآن لها حسب نزوله، ولو أنّ الشخصية كانت مقصودة مقصداً أصلياً لذكرت أحداثها ومواقفها في معرض واحد، فكنت تجد قصة موسى مثلاً في سورة واحدة، ولكن الذي كان هو أنّنا نرى الشخصية مع حدث من الأحداث تتفاعل معه وتمضي به إلى غايتها، ثم ينتهي المشهد، ويطوى الموقف، حتى إذا مضى زمن طال أو قصر، طالعنا وجه الشخصية من جديد، مع حدث آخر يأخذ دوره معه ثم يمضي [2].

وعرض الشخصية القصصية في القرآن بهذا الأسلوب، هو نتيجة للهدف من سرد القصة في القرآن، فهذا الأسلوب الفني، ما وجد إلّا لخدمة الغرض الديني، فإذا استدعى الغرض الديني وجود الشخصية، ظهرت، وإلّا فلا داعي لوجودها.

هذا الأسلوب السّردي في القصة، ملاحظ في كل عناصرها وليس في الشخصية فقط، وهو الذي سيبنى عليه جزء كبير من بحث "الفجوات" إن شاء الله.

---

[1] انظر اسماعيل، عز الدين، الأدب وفنونه دراسة ونقد، ص103، دار الفكر العربي، د.ط.

[2] الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص41-42، (بتصرف)

وللشخصية القرآنية ثلاث أبعاد تظهر مقوماتها الإنسانية، وهي[1]:

• البعد الجسدي: وهي السمات الخَلقية وتذكر في القصة عندما تكون عوناً للشخصية على أدائها لمهمتها، ومن أمثلته قوله عز وجل في وصف لسيدنا موسى عليه السلام : (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)[2] ، فمرحلة الأشد هي بلوغ الغاية من القوة الجسمية والعقلية فبلوغ الأشد والاستواء ماهما إلا مؤهلين مشروطين لتلقي الحكمة والعلم، وكذلك في كلّ القصص القرآني يذكر البعد الجسدي عندما تستدعيه الضرورة لبناء الأحداث عليه.

• البعد الاجتماعي: وهي مجموعة المقومات التي تصنف الشخصية من خلالها في حالة اجتماعية ما، وكما هو في البعد الجسدي، لا تذكر إلا حين الحاجة إليها، ولا تكون في كل الشخصيات القصصية في القرآن.

ومثاله: شخصية قارون الذي قال فيه تعالى: (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ)[3] ، فلما فتح الله عليه وأكرمه ونعمه لم يقر، بل قال إنما أوتيته على علم عندي، فكان أنموذجا وعبرة لمن أطغته لنعمة وفرح بمكانته الاجتماعية، فبغى، ولكنه لقي وبال أمره.

• البعد النفسي وهو ما يعتري النفس البشرية من خلجات ومشاعر ومنازع وردود أفعال، داخلية أو خارجية، إزاء مواقف معينة تبعاً لدوافع الإيمان والكفر، أو الهدى والضلال.

والقرآن في تجليته لهذا البعد لا يُزوِّر بشرية شخصياته المؤمنة، ولو كانوا أنبياء

ومن أمثلتها:

- الإشارة إلى بعض الصفات البشرية التي تعتري الأنبياء دون القدح في عصمتهم، ومثاله ما أصاب إبراهيم عليه السلام من تعلق بالمحسوس (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)[4].

كما لم تهمل السردية القرآنية وصف بعض الخلال النفسية للشخصيات الكافرة. مثل:

---

[1] سطوف، عزوز، بلاغة مقام القص القرآني سورة يوسف أنموذجا (وهو بحث مكمل لنيل شهادة الماجستير في البلاغة وشعرية الخطاب، بإشراف أ.د. عمار ويس)، ص19–23، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009م. (بتصرف).

[2] القصص: 14.

[3] القصص 76.

[4] البقرة:360.

- وصف نفسية فرعون المتكبرة المتعنتة عن قبول الحق، قال تعال على لسان فرعون : (إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ)[1].

المطلب الثاني: الأحداث في القصة القرآنية:

تتميز أحداث القصة القرآنية بالواقعية، والصدق المطلق، قال تعالى (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى)[2]
كما تتميز بطريقة العرض، وأهم ما يميز عرض الحدث في القرآن:
- أنّه يعرض كمشاهد، مشهداً مشهدًا:
لا تذكر الأحداث في القصة القرآنية سرداً متتابعاً، إنما هي مشاهد، قد يرد منها مشهدٌ ويطوى آخر، حسب الغرض الديني، أو الفني من القصة، وحسب موقعها من السياق.
وهذا ما سيتم تفصيله في البحث موسعاً.

وعرض القصة بطريقة المشاهد، هي التي جعلت مجالاً لطي كثير من المشاهد في القصة–التي يستطيع القارئ استنباطها والاستدلال عليها من خلال السياق– وتسليط الضوء على جزء معين مقصود، وهذا الأسلوب هو ما يسمى بأسلوب الفجوة[3].
فإذا كان المحذوف مما لا يستطيع القارئ تمثله، فهو في الغالب مذكور في سورة أخرى تعرض مشاهد أخرى لنفس القصة، وربما تكون مذكورة في الحديث الصحيح كقصة أصحاب الأخدود.

- ومما يميز عرض الحدث في القرآن أيضًا:
أنّه يعرض بأسلوب التصوير الفني، حتى كأنك ترى المشاهد لا تسمعها ، ولزيادة تأثير هذا الأسلوب في عرض مشاهد القصص القرآني، استعمل أسلوب الحوار بين شخصيات القصة، والذي ينمي عنصر التخييل[4].

---

[1] الشعراء 54.

[2] يوسف:111.

[3] ينظر دبور، محمد عبد الاله عبده، أسس بناء القصة من القرآن الكريم، دراسة أدبية ونقدية (رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الأدب والنقد، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالمنوفية، قسم الأدب والنقد، بإشراف أ.د. فتحي محمد أبو عيسى)، ص123.

[4] انظر قطب، سيد، التصوير الفني في القران الكريم، ص36.

فقد يقل السرد في بعض القصص القرآني لأقصى درجة ويركز على الحوار بين الشخصيات، مما يجعلها قريبة من أسلوب المسرحية المشاهدة المتتابعة دون وصف يقطع تسلسل الأحداث، ومن أمثلة ذلك قصة إبراهيم في سورة الأنبياء[1].

إنّ أسلوب المسرحية من أكثر الأساليب تصويرا للمشهد، لأنها تجعل المخاطب في موضع المُشاهد للحدث يتنامى أمام عينيه دون تدخل وصفي، وهذا ما يضيفه الحوار للقصة القرآنية.

إنّ جعل القارئ أو السامع كالمشاهد للحدث، من أبلغ أساليب التأثير عليه، كما يتيح لعقله المجال أن يفكر أكثر، ويبدع في استخلاص المواعظ والعبر بنفسه، ممّا يجعله مشاركًا في العملية التعليمية، وهذا أبلغ تأثيرًا في سلوكه من بعد.

ومن المهم ذكره:
أنّ بعض القصص القرآني قد يستغني عن عنصر الحوار، فتكون القصة سرداً فقط، وذلك مثل قصة يونس عليه السلام مثلاً، إلّا أنّ الأسلوب اللغوي البلاغي التصويري لا يزال ملازما للقصة لا ينفك، غير أنّ أكثر القصص القرآني قامت على المزاوجة بين السرد والحوار، وكل عنصر منهما يأتي في مكانه المناسب من القصة ، فالحوار يأتي حين يجمل أن يكون العرض حوارياً، والسرد يأتي حين يجمل أن يكون العرض سرداً روائياً، ولا يجوز أن يستبدل أي من العنصرين في مكانه بالعنصر الآخر ، كما أنّ الانتقال بينهما سهل حتى يكاد لا يلحظه القارئ من براعته وروعته[2].

هذا وإنّ كلّ أسلوب فنّي استخدمه القرآن الكريم يصب في الغرض الديني من إنزاله، ولم يوجد عبثاً، أو لغرض التغيير والإبهار أو التسلية فقط، وإنما ليكون الكلام على أقصى درجات الإبلاغ والفهم والتأثير.

[1] ينظر دبور، أسس بناء القصة من القرآن الكريم، ص110.
[2] دبور، أسس بناء القصة من القرآن الكريم، ص213-216 (بتصرف).

المطلب الثالث: عنصر الزّمن

الزّمن في القصص القرآني هو العنصر الذي يحمل الحدث، ويحركه.
ولكل قصة من القصص القرآني زمنها الخاص بها، بل وأجزاء لهذا الزمن، تظهر حيث يستدعيها الموقف ويقتضيها الحال، وتختفي حين لا يكون لوجودها داع.
ولتوضيح المقال، إليك المثال:

قال تعالى في قصة يوسف عليه السلام: (وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ)[1] ، هذه الجزئية من جزئيات الزمن حرص القرآن على الإشارة إليها، لأنّ لها مكاناً في سير أحداث القصة، ذلك أن ظلام الليل الذي أظل هذا الكذب ولفه هو نفسه الذي نم على الكذب، وألقى في روع الأب أنّ أبناءه لو كانوا صادقين لأسرعوا إليه مخبرين بالحدث في وقته، لأنّ مثل هذا الحدث لا يسكت عنه لحظة، (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا)[2] .

هذا عند استدعاء المقام لذكر هذه الجزئية من الزمن.
فإذا لم يستدع الموقف أو الحدث ذكر الزمن، ولا يؤثر فيه استغني عن هذا العنصر ولم يذكر، تنزيها للقصة القرآنية عن ذكر ما لا فائدة منه، ففي معظم القصص القرآني الزمن هو الماضي المطلق، غير المقيد بزمنٍ محدد، ولا يعرف بعده عن زماننا، وهذا لعدم تأثيره في إنماء الحدث القصصي، أو لعدم وجود فائدةٍ دينيةٍ تذكر منه[3].

المطلب الرابع: عنصر المكان

والمكان في القصة القرآنية كعنصر الزمن، والعناصر الأخرى كلها، لا يذكر "إلّا إذا كان يؤثر في سير الأحداث، أو إنمائها، أو يؤثر في الغرض الديني منها[4].
وقد يذكر صراحةً، محدداً تحديداً جغرافياً معروفا، أو يذكر بصفة له، وذلك حسب ما يستدعي المقام، وتقتضي البلاغة، أو يذكر بشكلٍ إجماليّ، أو لا يذكر نهائيًا، وإليك بعض التفصيل:

---

[1] يوسف:16.
[2] يوسف: 18.
[3] انظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص83-91.
[4] ينظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص91.

• أن يذكر المكان صراحةً محددًا تحديداً جغرافياً معروفاً، كقوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ...)[1]، وفي هذه الآية ذكر المكان لأنّه يدلّ على كثيرٍ ممّا يجب توضيحه في القصة، فمصر الحضارة، وبيت العزيز كان مكانًا للفتنة والابتلاء، بالنسبة ليوسف عليه السلام الذي غرب عن بلده وعاش في قصر العزيز الذي يمتلئ بذخاً وترفاً، وفيه كان ابتلاؤه ومراودته عن نفسه.

كما أنّ ذكر المكان في هذه القصة له أهميته التاريخية، في إثبات سبب انتقال بني إسرائيل من الشام إلى مصر.

وفيه إشارة للبعد القضائي والتنظيمي الذي كان يحكم مصر وحضارتها، وكذلك يشير للقيمة الاقتصادية لمصر في ذلك الزمان.

فذكر عنصر المكان هنا حمل الكثير من العبر والأبعاد التي تؤثر في فهم سير أحداث القصة وتصرفات شخصياتها[2].

ومن أجلى الأمثلة أيضًا على تحديد المكان في القصة، حين يستدعي المقام ذلك:
قوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[3]، فلا يجوز أن تذكر حادثة الإسراء والمعراج دون ذكر المكان لما في ذكره من بعد ديني وروحي، لا يتجاوز عنه وإلّا كان حدثاً ناقص الصفة والعبرة والحكمة[4].

• وقد يذكر المكان دون اسمه الصريح، بل بصفة له، كقوله تعالى: (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ)[5]، فذكرها هنا بالصفة دون التصريح، أبلغ من التصريح بها، لأنّ من مقاصد القصة بيان قدسية تلك الأرض، وأنّ كلّ ما يبذله بنو اسرائيل رخيص في سبيل دخولها.

---

[1] يوسف:21.

[2] انظر سطوف، عزوز، بلاغة مقام القص القرآني، ص14-15.

[3] الإسراء:1.

[4] انظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص92.

[5] المائدة:21.

• أو يذكر دون تحديد، وهذا كثير، فقد يعرض حدث حصل في مكان لا يمكن التجاوز عن ذكره، لكنه ليس من الأهمية بمكان يجعل تحديده ضرورة، وذلك كلفظ (المدينة) و (القرية) و(مطلع الشمس)... [1].

• أو لا يذكر إطلاقاً، وذلك بناء على تأثيره على سير الحدث، واستدعاء المقام لذكره أو عدمه.

المطلب الخامس: عنصر الفكرة

وهي في القصص الأدبي "الفكرة أو وجهة النظر، فكل قصة تعرض بالضرورة وجهة نظر في الحياة وبعض مشكلاتها. وكل العناصر السابقة ليست سوى أدوات تكشف لنا بها القصة عن طريقة المؤلف في النظر إلى الحياة, وفهمه لها, وموقفه العام منها"[2].

أما عن القصص القرآني، فالقصة مسوقةٌ للفكرة، موجودةٌ لأجلها، إذ هي –القصة– كما بينت طريقةٌ فنيةٌ في التعبير عن غرضٍ دينيّ، فالفكرة في القصص القرآني هي الأساس وهي الهدف، لذلك تراها جليةً واضحةً، قد يستنبطها المرء بكل سهولةٍ ويسرٍ.

كما أنّك قد تجد الفكرة مكررةً وموضحةً بأكثر من صورة خلال القصة نفسها[3]، بناءً على أهميتها.

هذا وقد تميز السرد القرآني للقصة بأنّه كثيراً ما يلتفت للفكرة فيعرضها بوضوح خارج سرد الحدث، ثم قد يعود مجدداً ليكمل الأحداث أو لا يعود.

وذلك لأنّ الفكرة تساق في ثنايا أحداث القصة وتستنبط استنباطاً منها، وقد تقصر بعض الأفهام عن إدراكها فيجليها الله عز وجل لهم واضحة خارج إطار القصة، لإتمام الفائدة، وتوضيح ما لم يتضح لبعض القراء فهي المقصد الأساسيّ الذي سيقت القصة لأجله[4].

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء تعقيبًا على قصة ابني آدم في سورة المائدة، قال تعالى: (...فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (31) مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ

[1] انظر سطوف، عزوز، بلاغة مقام القص القرآني، ص15.

[2] اسماعيل، عز الدين، الأدب وفنونه دراسة ونقد، ص103.

[3] انظر مطاوع، سعيد عطية علي، الإعجاز القصصي في القرآن، ص31–32، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2006م.

[4] ينظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص162.

مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (32))[1].

ففي هذه الآيات تمّ قطع جريان الحدث والالتفات إلى الفكرة، والتي هي تعظيم جرم قتل النّفس، من وراء سرد القصة، فهي المقصود ابتداءً، وليس المقصود ما كان من ابن آدم بعد أن رأى الغراب يبحث في الأرض.

المطلب السادس: عنصر السرد القصصي

والسرد القصصي: هو المبنى الحكائي، وهو تنظيم الأحداث في نسق خاص بكيفية خاصة، من خلال سارد يتوجه به إلى مسرود له[2].

وتتنوع وجوه سرد القصة في القرآن، فتارةً يواجهنا مشهد وصفيّ، وتارة يتمّ حذف بعض الأحداث، أو إضمارها، وتارة يتمّ الاسترسال فيها، وكله يعود إلى طبيعة المراد من سياق القصة، والغرض المراد التركيز عليه.

وفي هذا البحث سيتم التركيز بإذن الله على أسلوب مهم من أساليب السرد القصصي في القرآن، وهو حذف بعض الأحداث خلال سرد القصة القرآنية، أو ما يسمى بالفجوات، و غرض وجود هذه الفجوات، وأنواعها، وكيفية سدّ ما أخفي من أحداث وراءها.

---

[1] المائدة: 31-32.

[2] انظر خضر، محمد مشرف، بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم (رسالة دكتوراة في الآداب من جامعة طنطا، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، بإشراف أ.د. عبد الرحيم زلط، و أ.د. محمد عبد المطلب مصطفى، أ.د. محتار جبلي) ص17.

المبحث الرابع: تعريف الفجوة الفنية، ونشأة المصطلح:

المطلب الأول: تعريف الفجوة الفنية

الفجوة لغةً: "الْموضع المتسع من الأَرْض يفضى إِلَيْهِ من ضيق، وَيُقَال: بَين دور آل فلَان فجوة أَي متسع. وَقَالُوا: فجوة الدَّار: ساحتها وَالْجمع فجوات"[1].
و"الْفَجْوَةُ: الْمُتَّسَعُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ"[2]، ومنها الفجوة في القصة، فهي متسع أو فراغ بين أحداثها.

الفجوات الفنية في القصة القرآنية:

"هي الحلقات المفقودة من السرد القصصي للقصة القرآنية، وذلك عن قصد لا عن غفلة وجهل"[3].

وهذا ما يميز الفجوة الفنية عن الفجوة اللسانية، إذ الحذف فيها مقصود لغايات جليلة، وفوائد ناجمة عن ذات الحذف، "فهي ليست في حكم حذف الإسناد، أو ما هو معلوم لدلالة السياق عليه بالضرورة، كحذف المبتدأ عندما يتقدم ذكره، أو حذف العامل بعد العطف، أو غير ذلك مما يقتضيه نظام اللغة"[4]

وحين أتحدث عن السرد القصصي للقصة القرآنية، أقصد أمرين:
- سرد القصة بالنظر إلى مشاهد القصة كاملة في القرآن الكريم، مثل: أن أتتبع قصة نوح عليه السلام حيث وردت في القرآن كاملا، فأجمع المشاهد إلى بعضها، حتى تكون قصة متكاملة.
- أو بالنظر إلى جزء القصة المذكور في سورة واحدة معينة في القرآن الكريم، دون جمع أجزائها من باقي السور القرآنية.
وفي كليهما وجدت الفجوات، لأغراض فنية، وأخرى دينية.

---

[1] ابن دريد، جمهرة اللغة، (489/1).

[2] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (477/4).

[3] الخالدي، صلاح، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، (40/1)، دار القلم، دمشق، ط1، 1419هـ. (بتصرف).

[4] المجلة الجامعة، (بيدق، سالم علي، السرد القرآني خصائصه وتقنياته)، العدد السادس عشر، مج 2، ابريل 2014م.

فمثلاً: قصة نوح عليه السلام، وبالنظر إلى مشاهد قصته كاملة في القرآن، ستجد فجوة في بداية حياته ونشأته إلى حين البعثة، لم يذكر هذا عنه في أي سورة من سور القرآن.

وبالنظر إلى قصته في سورة الصافات، نجد فجوةً من مبعثه إلى حين استنصاره بالله على قومه، لم تذكر هذه الأحداث في السورة، وابتدأت قصته فيها بقوله تعالى: (وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ)[1] بينما ذكرت بعثته ودعوته وتكذيب قومه له في سور أخرى كسورة نوح مثلاً.

المطلب الثاني: نشأة المصطلح:

أمّا عن مصطلح (الفجوة الفنية) فمنقول عن سيد قطب[2] في كتابه التصوير الفني[3]، وكذلك عبد الكريم الخطيب[4]في كتابه القصص القرآني[5].

وهما أول من وجدته استخدم هذا المصطلح، وفصل فيه، وفي أغراضه، هذا مع أن المفسرين، والبلاغيين قد أشاروا إليه، بوصفه نوع من أنواع الإيجاز بالحذف، كالطبري، والزمخشري، وابن الأثير، وابن عاشور وغيرهم.

وفصّل فيها صاحب كتاب "بدائع الإضمار القصصي"، بلفظ الإضمار.

---

[1] الصافات: 75.

[2] سَيِّد قُطْب (1324 – 1387 هـ = 1906 – 1967 م)، سيد قطب بن إبراهيم: كاتب، عالم بالتفسير، من كبار المفكرين الإسلاميين والأدباء في مصر في الثلث الثاني من القرن العشرين، ومن شهداء النهضة الإسلامية الحديثة.انضم إلى الإخوان المسلمين، وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها، ومن مؤلفاته: (التصوير الفني في القرآن) و(في ظلال القرآن). (ينظر الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، (147/3)، دار العلم للملايين، ط15، 2002م)و (نويهض، عادل، معجم المفسرين، (219/1)، مؤسسة نويهض، بيروت، ط3، 1409هـ).

[3] انظر قطب، سيد، التصوير الفني في القران الكريم، ص 187و ص197.

[4] عبد الكريم محمود يونس أحمد الخطيب(1328 – 1406 هـ) 1910 – 1985 م) المفكر الإسلامي، الباحث، المفسر. ولد في قرية " الصوامعة غرب " التابعة لمركز طهطا بصعيد مصر، شارك في إخراج مجموعة من المؤلفات الدينية والأدبية تربو على الخمسين كتاباً، منها: التفسير القرآني للقرآن، والقصص القرآني. (ينظر يوسف، محمد خير بن رمضان، تكملة معجم المؤلفين، ص 319– 321 ، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1418هـ).

[5] انظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص125.

المبحث السادس: بلاغة أسلوب الفجوة

• تظهر بلاغته كونه من أساليب الحذف الفصيح، إذ يحذف فيه مشاهد من القصة، لتأدية أغراض فنية ودينية، ما كانت لتؤدى لولا أن تم الحذف، فكان الحذف فيها من أساليب البلاغ والبيان، يقول الجرجاني في روعة الحذف:

"هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[1].

• بلاغة أسلوب الفجوة من جهة مطابقته لمقتضى الحال:
يقول الخطيب القزويني[2]: "بلاغة الكلام هي مطابقته لمقتضى الحال، مع فصاحته، ومقتضى الحال مختلف، ومقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير مباين لمقام التعريف، ومقام الإطلاق مباين لمقام التقييد، ومقام التقديم مباين لمقام التأخير، ومقام الذكر مباين لمقام الحذف"[3].

والفجوة حذف حدث أو أحداث من القصة بما يتناسب ومقتضى الحال، أي حال السورة وسياقها، وحال الفكرة المراد توصيلها والتركيز عليها، وهي مع هذا حذف فصيح، لا يخل بالمعنى، بل يزداد العرض به تألقاً، والمعنى وضوحاً وتركيزاً.
وأمثلتها في القصص القرآني كثيرة.

---

[1] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح. محمود محمد شاكر، ص146، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1413هـ.

[2] مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن بن عمر قَاضِي الْقُضَاة جلال الدّين الْقَزْوِينِي، أبو المعالي(666 – 739 هـ) (1268 – 1338 م) فقيه، اصولي، محدث، اديب، عالم بالعربية والمعاني والبيان، شاعر، مشارك في علوم اخرى، من القضاة، والخطباء.
وَهُوَ مُصَنف كتاب التَّلْخِيص فِي الْمعَانِي وَالْبَيَان وَكتاب الْإِيضَاح فِيهِ
(انظر السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، (158/9)، هجر للطباعة، ط2، 1413هـ، وكحالة، عمر بن رضا بن محمد، معجم المؤلفين، (146/10)، مكتبة المثنى، بيروت)

[3] الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، الايضاح في علوم البلاغة، (41/1–42)، تح. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط3.

هذا، وحين يقتضي الحال بسط الأحداث بسطاً متسلسلاً، دون وجود فجوات بين الأحداث، ستجده متسلسلاً، كما تقتضي البلاغة، دون إخلال بمقام العرض حذفاً أو إثباتاً على السواء.

وذلك كقصة عيسى عليه السلام وأمّه مريم في سورتي مريم وآل عمران، فقد ذكرت الأحداث فيها متسلسلةً بسرد تفصيلي، وسير طبيعي، إذ أنّ هذه القصة تقتضي التفصيل لبيان الحقائق التي قد غيرت، ودحض الأباطيل عنها، فالتفصيل فيها يزيل الغموض ويكشف بطلان ما ادعاه بعض أهل الكتاب من بنوة عيسى عليه السلام لله ﷻ[1].

وهو كما قال الخفاجي[2]: "إنّ لكل مقام مقالاً، ولكل غرض فناً وأسلوبًا"[3].
وحيثما عرضت القصة، وكيفما عرضت، ومن أي وجه وأي حدث منها عرض، فهي في قمة البلاغة، لأنه لا يعرض إلا بما يتناسب والمقام ، بدقة بالغة.

وكل جزء من القصة له مقام يعرض فيه، فمقام تعداد النعم، ليس كمقام التخويف، مثلاً، فهنا يعرض جزء من القصة ويحذف آخر، وهناك كذلك.

- تجعل الفجوة الفنية القارئ شريكاً في بناء القصة القرآنية، من خلال التخيل والاستنباط ومحاولة ملء الفراغات[4]، وفي هذا تنشيط له وزيادة للذة، والأجر.[5]

---

[1] ينظر البوطي، محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، ص198، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ.

[2] عَبْد اللَّه بْن مُحَمَّد بْن سَعِيد بْن سِنان، أبو مُحَمَّد الحلبيّ الخَفَاجي، [المتوفى: 466 هـ]، الشاعر المشهور، صاحب " الدّيوان ". أَخَذَ الأدب عن أَبِي العلاء بْن سُلَيْمَان، وأبي نصر المنازي، وتُوُفّي بقلعة عَزَاز، ومن آثاره: ديوان شعر، وسر الفصاحة. (الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام، تح. بشار عواد، (233/10)، دار الغرب الاسلامي، ط1، 2003م) و(كحالة، معجم المؤلفين (120/6).

[3] الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، سر الفصاحة، ص163، دار الكتب العلمية، ط1، 1402هـ.

[4] انظر المجلة الجامعة، العدد السادس عشر، مج 2، ابريل 2014م.

[5] انظر الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، (104/3–105)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاؤه، ودار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1376هـ.

• تزيد الفجوة من استيعاب القصة لما لا يمكن أن يقال، أو ربما يقال بكلام كثير جداً، نظراً لكون اللغة محدودة القدرة على الاستيعاب مهما اتسعت[1]، فتقوم الفجوة بإيجاز الكلمات مع عدم الإخلال أو الانتقاص من المعاني، بل ربما تشير إلى أكثر مما يمكن أن يقال.

• أنّ العامة من الناس تولع بالقصة ما ذكرت أحداثها وشخوصها، تفصيلا، فيميلون للقصة وذكر التفصيلات والعجائب فيها، وينسون الغرض من ذكرها، والعبرة من أحداثها[2].

لذلك يستغنى في القصص القرآني عن ذكر هذه التفصيلات _التي قد تشوش المتلقي، وتغير سياق الآيات الكريمة_ بالتركيز على بعض الأحداث وحذف بعضها، بما يتناسب والغرض منها، وهذا هو لب البلاغة وأسها.

• أنّها وبحذف بعض الأحداث، تشير إلى معان أكثر عمقاً وأجدى نفعاً، ما كانت لتظهر لو ذكرت الأحداث كلها متسلسلة[3]، وهذا ما سميته في البحث: أغراض فنية، وأخرى دينية، مفصلة بأمثلتها بإذن الله.

---

[1] انظر المجلة الجامعة، (بيدق، سالم علي، السرد القرآني خصائصه وتقنياته)، العدد السادس عشر، مج 2، ابريل 2014م.

[2] انظر ولي الله الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم، الفوز الكبير في أصول التفسير، ص66، دار الصحوة، القاهرة، ط2، 1407هـ.

[3] ينظر الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص146.

الفصل الأول:

أغراض الفجوات في القصة القرآنية

مرّ آنفاً أنّ الفجوات في القصة أسلوب بلاغي رفيع، بما يتضمنه من حذف، وهنا تفصيل ما قد يعنيه حذف بعض الأحداث في القصة القرآنية، فإنه ما من حذف في القصة القرآنية إلا وله غرض يؤديه، وإلا كان عبثاً وعيباً نزه عنه كلام الحكيم الخبير.
وقد قسمت أغراض الفجوات إلى قسمين: أغراض فنية، وأغراض دينية.

ولا يعني هذا التقسيم أنّ الغرض الفني بعيد عن الغرض الديني أو العكس، بل هما متلازمان ومتكاملان، لأن الغرض الفني يؤدي إلى معان دينية، والغرض الديني يتوصل إليه بطرق فنية، وكذلك الفجوة الواحدة في القصة، قد يكون لوجودها أكثر من غرض سواء كان فنيًا أو دينيًا، وهكذا، فإن التداخل والتكامل لا بد منه عند الحديث عن أغراض الفجوات.

المبحث الأول: الأغراض الفنية

والفنّ: واحد الفنون، وهي الضروب والطرق والأساليب[1].
والأغراض الفنية للفجوة في القصة: هو ما تؤديه الفجوة من أساليب وطرق في سرد القصة، تجعلها أكثر جمالًا وتأثيرًا.
وحين نتحدث عن الأغراض الفنية للفجوة، فنحن نتحدث عن ما تؤديه الفجوة من جمال أخاذ، يأخذ بذهن السامع وقلبه، ويؤثر أيضا في القيمة التربوية والدينية المراد توصيلها، من حيث يسر وسرعة إيصال الفكرة، ومن حيث أثرها وعمقه في النفس[2].
وذلك أنّ " القرآن الكريم يجعل الجمال الفني أداةً مقصودةً للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية"[3].

---

[1] انظر الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تح. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (371/8)، دار ومكتبة الهلال، د.ط . وابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، (435/4). و الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، (149/1).

[2] انظر البوطي، محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن ، ص204.

[3] قطب، سيد، التصوير الفني في القران الكريم، ص171.

ولذا سيلحظ القارئ ترابطاً قوياً بين الأغراض الفنية والأغراض الدينية للفجوات في القصة القرآنية.

المطلب الأول: الإيجاز

وهو "جمع المعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة مع الإبانة والإفصاح"[1].

أو هو " تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى"[2]

وهو من أعظم مقاصد البلاغة، وأهمها، لأن تطويل الكلام يملل السامعين، ويشتت أذهانهم، ولو كان مفيداً.

يقول الجاحظ [3]في ذمّ التطويل: " للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن قدر الاحتمال ودعا إلى الاستثقال والملال، فذلك الفاضل هو الهذر، وهو الخطل، وهو الإسهاب الذي سمعت الحكماء يعيبونه"[4].

ويقول الخطابي[5]: "وحذف ما يستغنى عنه من الكلام نوع من أنواع البلاغة"[6].

"والإيجاز على وجهين: حذف وقصر، فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء بها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام"[7].

---

[1] عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، ص184، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1430هـ.

[2] الرماني، أبو الحسن، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن الكريم، (مطبوع ضمن كتاب: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم)، تح. محمد خلف الله أحمد و د. محمد زغلول سلام، ص76، دار المعارف، مصر، ط3.

[3] عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان الجاحظ المصنف الحسن الكلام، البديع التصانيف. ولد في أول سنة خمسين ومائة ومات سنة خمس وخمسين ومائتين في خلافة المعتز وقد جاوز التسعين.

كان من أهل البصرة، وأحد شيوخ المعتزلة، وقدم بغداد، فأقام بها مدة، وقد أسند عنه أبو بكر بن أبي داود الحديث، وهو كناني، قيل: صليبة، وقيل: مولى، وكان تلميذ أبي إسحاق النظام. ومن كتبه: الحيوان، والبيان والتبيين، ونظم القرآن، وغيرها.(ينظر الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، تاريخ بغداد، (124/14)، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1422هـ) و (ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم الأدباء، تح. إحسان عباس، (2118/5)، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1414هـ

[4] الجاحظ، عمرو بن بحر، أبو عثمان، البيان والتبيين، (101/1)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ.

[5] أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي أبو سليمان، مات الخطابي في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ومولده في رجب سنة تسع عشرة وثلاثمائة. قال السمعاني: كان الخطابي حجّة صدوقا، من تصانيفه: معالم السنن في شرح كتاب السنن لابي داود، غريب الحديث، شرح البخاري، اعلام الحديث، اصلاح الغلط، وله شعر. (ينظر ياقوت الحموي، معجم الأدباء، (491/2) و (كحالة، عمر بن رضا بن محمد، معجم المؤلفين، (61/2)

[6] الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم، بيان إعجاز القرآن، (مطبوع ضمن كتاب: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم)، تح. محمد خلف الله أحمد و د. محمد زغلول سلام، ص52، دار المعارف، مصر، ط3.

[7] الرماني، أبو الحسن، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن الكريم، ص76.

والقصر: وهو ما ليس بحذف، إلّا أنّ معناه كثير يزيد على لفظه[1].

والبحث يتعلق بإيجاز الحذف لا القصر، وبحذف الجملة أو الجمل تحديداً.
وحذف الجمل في النص والاستغناء عنها بالدلالة أحسن طرق الحذف، وأشدها دلالةً على الإيجاز البليغ، وأكثر ما تجده في القرآن الكريم [2]، فإنك ترى كثيرا في سرد القصة القرآنية، حذف لجملة أو لجمل متتالية، قد لا يستقيم المعنى أو تتم القصة إلا بها، ثم ترى ما يدل عليها جلياً فيما أوجز من الكلام، دون شعور منك بنقص أو خلل، بل يلحظ القارئ أن النص يحمل أكثر مما ذكر فيه من المعاني والإشارات[3]، وهذا هو أسّ البلاغة.

هذا، ولا يمكن أن يكون القصّ بنقل الحادثة بكل جزئياتها، فهو أمر مستحيل، كما أنه ممل، يذهب بروعة القصة وتأثيرها في النفس، لذا، لن تجد في قصص القرآن من أحداث القصة إلا ما كان ذا دلالة واضحة على المعاني، وأما بقية الأحداث فمحذوفة لعدم الحاجة لذكرها [4]، أو لأغراض أخرى نأتي على ذكرها لاحقًا.

لكن ومع روعة الحذف، إلا أنه لا بد من دلالة فحوى الكلام على المحذوف، وإلا لصار ضرباً من العبث[5] يتنزه عنه كلام الله تعالى.

أمثلة على فجوات فنية أدت غرض الإيجاز:

- قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ)[6].

---

[1] ينظر خطيب دمشق، محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، (181/3)، تح. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط3.

[2] ينظر ابن الأثير، نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (77/2)، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1420هـ.

[3] ينظر دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، ص170، دار القلم للنشر والتوزيع، ط2005م.

[4] انظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص50-51.

[5] انظر ابن الأثير، نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (74/2 ، 77).

[6] العنكبوت: 14.

والفجوة هنا فجوة زمنية طويلة، حددت في الآية بألف سنة إلا خمسين عاماً، ولم يذكر شيء مما كان من القوم في هذه المدة الطويلة .

إلا أنّ فحوى الكلام أشار إلى ما كان منهم ، وذلك قوله تعالى: (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ) وهو دلالة واضحة على ما كان منهم قبل الإهلاك من تكذيب وظلم[1].
وجاء الإيجاز على أشد ما يكون في هذه الآية فأوجز ألف سنة إلا خمسين عاماً بكلمتين!.

• قوله تعالى: (قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (13) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (14) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15)[2].

والفجوة هنا قبل قوله تعالى: (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ) إذ كان من المفترض أن تذكر موافقة يعقوب عليه السلام على ذهاب ابنه، قبل ذهابه.

ولا بد أنّ المتلقي كان يترقب ما سيكون رد يعقوب عليه السلام إلا أنّه حذف، ورأينا نتيجته، وهو ذهابهم بيوسف عليه السلام، إذ أنّ هذا الحذف لا يؤثر بالمعنى، بل يزيد النظم حلاوة[3].

ومن بديع ما قد يفهم من هذا الحذف عدا الإيجاز، أنّه رغم موافقة يعقوب عليه السلام على ذهاب يوسف إلا أنّها تمت على مضض حتى تكاد لا تخرج من فيه، فلم تذكر نصا، ويدل على هذا الفهم قوله آنفا (إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ).

• قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام: (قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (48) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (49) وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (50))[4].

---

[1] انظر خضر، محمد مشرف، بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم، ص91.

[2] يوسف: 13-15.

[3] ينظر عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، ص484، دار الفرقان، ط10، 2005م.

[4] يوسف: 47-50.

والفجوة هنا جاءت بعد كلام يوسف عليه السلام في تأويله رؤيا الملك، وقبل قول الملك (ائتوني به)، وتقديرها أنّ الرسول رجع للملك فأخبره بتأويل الرؤيا فأعجب الملك به، فقال ائتوني به، وهذا الحذف المتوسط في الحدث قد أشارت إليه حاشيتا الكلام فدلت عليه دلالةً واضحةً[1].

ولو ذكرت التفاصيل المحذوفة لصار الكلام مملاً ثقيلاً، لكننا نرى جيداً كيف دلّ الموجود على المحذوف، وحمل من التفصيلات ما لم يذكر، دون الحاجة إلى الذكر، وهذا من أعظم صور البلاغة، التي تكاد لا تخلو من أي سرد قصصي في القرآن الكريم.

• قوله تعالى: (اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29))[2].
وحذف هنا جمل كثيرة تقديرها: فحمل الهدهد الكتاب وذهب به، وألقاه لها، فأخذته وقرأته، ثمّ جمعت حاشيتها فقالت: يا أيها الملأ ...[3].
وكل هذه الجمل مستغنى عنها بدلالة فحوى الخطاب، وذكر الحدثين الذين توسطهما الحذف، فدلا عليه دون الحاجة لذكره، فصار حذفه أبلغ.

• قوله تعالى: (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (139) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (140) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (141) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (142) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (145) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (146) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (147) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (148))[4].
وحذف من الآيات ما بعد (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ)، إذ لماذا أبق؟، وما الذي حصل معه عندما دعا قومه؟، لكنّ الآية الأخيرة من القصة بينت المحذوف، وهو تكذيب القوم له وإعراضهم عنه، قال تعالى: (فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ)، فإنهم إذا لم يؤمنوا قبل خروجه عنهم[5]، وبما أنّ السبب موضح في سياق الآيات حسن حذفه ابتداءً من باب الإيجاز.

---

[1] ينظر ابن الأثير، نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (82/2).
[2] النمل: 28-29.
[3] ينظر عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، ص485.
[4] الصافات: 139-148.
[5] انظر دبور، محمد عبد الاله عبده، أسس بناء القصة من القرآن الكريم، ص114.

ومن الجدير بالذكر أنّ الإيجاز يكون حال علم المخاطب بالكلام المحذوف أولى، لذا ترى أنّ القصص في أواخر العهد المكي بدأت تختصر أكثر من قبل، والسبب هو أن حوادثها قد ذكرت وصارت معروفة[1].

وغرض الإيجاز متحقق في كل حذف بليغ، إلا أنه لا يعد وحده سبباً بلاغياً في حذف ما يحذف، فلا بد من وجود غرض معه اقتضى الحذف[2] .

***مسألة: تتيح الفجوات مجالاً في النص لمرونة الإيجاز بعدها**

ثمّ إنّ الفجوات الفنية في النصّ، عدا عن إفادتها الإيجاز في النص ذاته، تتيح المجال لمرونة الإيجاز فيما بعده من أحداث، دون الإخلال بالسرد القصصي، ذلك أنّها تخلق تناسقاً في السرد، فيكون طوله وتفصيله متوافقاً، وإن كان موجزاً.

فمثلاً في قصة موسى عليه السلام مع فرعون، قال الله تعالى:
(قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (57) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (58) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (59) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (60) قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (61) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (62) قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (63) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (64) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65)[3].
جاءت الفجوة المكانية ابتداءً، ليترتب عليها الإيجاز فيما بعد: فلم يحدد المكان– رغم وجود ما يجعل المتلقي مدركاً لسعته، فهو مكان يتسع لحشر الناس فيه– لتساعد هذه الفجوة المكانية على إيجاز الكلام بعدها، فكان على سبيل الإيجاز أنّه لم يذكر من تنحي السحرة عن الناس وابتعادهم ليتواصوا فيما بينهم، إلّا (وَأَسَرُّوا النَّجْوَى) كما لم يذكر من رجوعهم لساحة المواجهة ليخاطبوا

---

[1] انظر الظواهري، كاظم، بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، ص43، ط1، 1991م.

[2] ينظر المطعني، عبد العظيم ابراهيم محمد، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى من كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر، سنة 1974م)، (56/2)، مكتبة وهبة، ط1، 1413هـ. (بتصرف).

[3] طه: 57–65.

موسى عليه السلام إلا كلمة (قالوا)، ولو أن المكان قد فُصّل منذ البداية، لما أمكن إهماله فيما بعد[1].

فالإيجاز إذاً من أعظم أغراض الفجوة، وأوسعها، ذلك أنّ كلّ الفجوات الفنية تؤدي غرض الإيجاز، مع ما يصاحبه من أغراض أخرى فنية ودينية.

المطلب الثاني:
إثارة الخواطر وحفز حاسة التأويل لدى المتلقي

فإن القرآن في عرضه للقصة يقسمها إلى مشاهد تاركاّ فجوات لخيال المتلقي يملؤها، مستمتعاً بحركة الخيال الحية[2]، مما يشعره "بأنه يعيش فعلاً مع أحداث القصة، يتنقل مع أشخاصها ويحاور أبطالها"[3].

إنّ هذا الاندماج بين المتلقي والنصّ يعود على المتلقي بفوائد عظيمة:

أولاً: الانجذاب إلى النصّ، وشدة الصلة به، ذلك أنّ المتلقي هو الذي حرك ذهنه في ملء فراغاته[4]، أو البحث عنها في مواضع أخرى .

ثانياً: إيقاظ الملكات الفكرية لدى المتلقي، وتجديد نشاطه، وتحريك ذهنه[5]، وذلك حين يقف عند الفجوة متسائلاً : لم حذفت؟ وما الذي يملؤها؟.

ثالثاً: ما يناله المتلقي من الأجر حين اجتهاده في تدبر الآيات، والبحث عن أسباب حذف بعض المشاهد، أو ما يملأ فراغات النص، من القرآن أو غيره[6].

---

[1] انظر دبور، محمد عبد الاله عبده، أسس بناء القصة من القرآن الكريم، ص318.
[2] انظر قطب، سيد، في ظلال القرآن، (2677/5)، دار الشروق، القاهرة، ط34، 2004م.
[3] مطاوع، سعيد عطية علي، الإعجاز القصصي في القرآن، ص117.
[4] انظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص124.
[5] انظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص128.
[6] انظر الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص54.

أما الأمثلة الدالة على ما ذكرنا، فهي كل ما جاء من فجوات في القصص القرآني، كلها بلا استثناء تحرك ذهن المتلقي، وتحفز فيه التأويل والبحث.
ومنها:

• قوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (54) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (55) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (65) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69)[1]
ولقد تمّ الحذف في أكثر من موضع في هذا المشهد من القصة، فمثلاً حذف ما يشير إلى أنّ إبراهيم عليه السلام أسرّ بقوله (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ)، وحذف بعدها، أي المشهد الذي يشير إلى أنه انتظرهم حتى ذهبوا ثمّ دمّر أصنامهم، ثم حذف ما يشير إلى رجوعهم بعد تحطيم الأصنام، فلم تحصل كل هذه الأحداث في مجلس واحد، ثم حذف ما يشير إلى الإتيان به بعد قوله تعالى: (فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ ل)، ثم حذف حدث إشعالهم للنار وإلقائه فيها.

وهذا الحذف، والانتقال السريع من حدث مثير إلى آخر مثير يحقق عنصر التشويق لدى المتلقي، ويجعله في موضع المؤول لما يدور من أحداث محذوفة داخل النص، ويمكنه من الاندماج مع أحداثها أكثر ممّا لو كان في موضع التلقي فقط[2].

[11] الأنبياء: 51-69.

[2] انظر الظواهري، كاظم، بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، ص197.

المطلب الثالث: إحياء المشاهد وتحقيق الحضور لها[1]

تأتي الفجوة الفنية بين أحداث القصة القرآنية في بعض الأحيان، فتثير حالةً سرديةً سريعة، عن طريق التقليل من الأحداث المسرودة، والزيادة في عنصر الحوار بين الشخصيات، كما تنتقل بنا من حوار إلى حوار آخر مختلفين، دون توضيح هذا الانتقال، أو كيف تم، مما يحيي المشهد، ويجعل المتلقي مندمجاً في الحوار، حتى كأنه فرد من أفراد القصة، لا ينفك عنها، وهذا يزيد من عامل التشويق لمتابعة القصة حتى النهاية[2].

إنها تنقله من حالة التلقي من بعيد، إلى حالة الاندماج مع الحدث، والذي يطلق عليه مسرحيا ب"اختفاء صوت المؤلف" فيصبح المشاهد في موقف حي، لا يتلقى المعلومة إلا من أصحاب الحدث أنفسهم، فيحسن عامل الحركة والتطور في المشهد، دون تدخل خارجي، وهذا من ما تختص به المسرحية ويحسن في القصة[3].

ومن الأمثلة الدالة:

• قوله تعالى: (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (17) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18)[4].

هذا الامر الذي تلقاه موسى من ربه نراه يصل الى سمع فرعون فور تلقي موسى له ونجد فرعون يلقاه بالجواب دون أن يجري ذكر اللقاء بفرعون ولم يذكر ما افتتح به اللقاء أو ما جرى من حديث بينهما ... وأنت ترى أثر هذا الحضور الفوري المفاجئ الذي يقلك من موقف الى موقف في لحظة خاطفة وتطوى فيها أبعاد الزمان والمكان دون شعور المتلقي بهذا الانتقال، إن هذه الفجوة دلفت بنا إلى مسرح الحادثة من غير أن نشعر، واذ بنا نسمع ما يجري من احداث وكأننا جزء من الحضور في قصر فرعون[5].

• قوله تعالى: (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ

---

[1] انظر دبور، محمد عبد الاله عبده، أسس بناء القصة من القرآن الكريم، ص122.

[2] ينظر دبور، محمد عبد الاله عبده، أسس بناء القصة من القرآن الكريم، ص122.

[3] ينظر الظواهري، كاظم، بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، 198ص-107.

[4] الشعراء: 16-18.

[5] انظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص131-132.

مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (42)[1].

ولم يذكر كيف أُتي بالعرش، ولا كيف أُتي بالملكة، وكأننا في القصر في مشهد واحد تتسارع فيه الأحداث وتنمو، دون أن يدري المتلقي ما يجري وراء الكواليس، وكأنه واحد من الحضور في مملكة نبي الله سليمان ، يشهد تسارع هذه الأحداث، بكل ما فيها من إثارة.

• قوله تعالى: (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (10) قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (11)[2].

وقد حذف الفاصل بين مؤامرتهم، وبين حوارهم مع أبيهم، إذ ليس من الممكن أن تكون المؤامرة أمام الوالد، لكن المشهد هنا نقلنا من التناجي فيما بينهم إلى مشهد الحوار مع الوالد دون الحاجة إلى فاصل توضيحي، اللهم إلا قول (قالوا) ، مما ينمي المشهد ويحييه بأقل سرد ممكن؛ السرد الذي قد يقطع علينا لذة الاندماج في الحدث[3].

• قوله تعالى: (قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (63) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (64) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65)[4].

هنا أيضاً حذف الفاصل بين التناجي فيما بين السحرة، وبين الحوار مع موسى عليه السلام، وكانت نقطة الانتقال (قالوا) فقط، التي أقلتنا من مشهد إلى مشهد، دون سرد قد يقطع علينا الاندماج في الحدث[5] .

---

[1] النمل: 38-42.

[2] يوسف: 10-11

[3] انظر الظواهري، كاظم، بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، ص192-193. (بتصرف)

[4] طه: 63-65.

[5] انظر الظواهري، كاظم، بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، ص194. (بتصرف)

المطلب الرابع: إثارة عنصر المفاجأة

وعنصر المفاجأة يثير المتلقي، ويجعله متلهفا للمواصلة، مشدوداً للنص.
ومن أمثلته في القصة القرآنية:

• قول الله تعالى في قصة أصحاب الكهف: (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (18) وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ...)[1]

أي بعثهم الله من النوم آية دالة على كمال قدرته[2]، وذكرت هذه البعثة على طريقة المفاجأة[3]، ودون تمهيد لذلك.

وقد ساهمت الفجوة، بعدم ذكر مدة اللبث، وعدم ذكر ما وقع من أحداث وتغيرات مدة لبثهم في إثارة عنصر المفاجأة لدى المتلقي، فيتساءل: كيف، ولماذا، ومتى، وعلى أي حال؟!، كل هذه التساؤلات التي ترد لذهن المتلقي حين مفاجأته بالحدث، دون سابق إنذار، تجعله مشدوداً لمواصلة التلقي، والبحث عن مكنونات القصة، والتي تتضح شيئاً فشيئاً فيما بعد.

كما أنّ عنصر المفاجأة في هذا الموضع يزيد من الشعور بالقدرة الإلهية النافذة التي لا يحدها حد مطلقاً، (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[4]

• وفي قصة أصحاب الكهف أيضًا: (وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (19) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (20) [5].

وتبين الآيات بعثهم وحوارهم فيما بينهم، وحرصهم على الحفاظ على أنفسهم ودينهم، حتى هذه اللحظة، ثم فجأة، يعثر عليهم، قال تعالى:

---

[1] الكهف: 18-19.

[2] ينظر أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، (213/5)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط.

[3] انظر قطب، سيد، التصوير الفني في القران الكريم، ص192.

[4] يس: 82.

[5] الكهف: 19-20.

(وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (21)[1].

ولم يذكر الله سبحانه ما كان من الأحداث بعد حوارهم المذكور وهم يجتهدون فيه بإخفاء ما هم عليه خوفاً من أن يعثر عليهم أحد فيردهم عن دينهم، وإذا بهم يعثر عليهم، فانقطاع الحدث بهذه الطريقة، والإتيان بالحدث المحذور وقوعه مباشرة، يضع المتلقي في موضع مفاجأة، تثير لديه تساؤلات كثيرة، مما يجعله مشدوداً لمعرفة المزيد، ماذا حصل؟ وما الحكمة في هذا؟ ليجد التفصيل بعدها (ليعلموا أن وعد الله حق...)، وقد ذكر بعض المفسرين[2] جانبا من الروايات التي تملأ هذا الحذف، وهي كثيرة.

• وفي قصة مريم عليها السلام: (فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (23) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24)[3].

وتترك هنا فجوة فنية في الحدث تساعد في بناء عنصر المفاجأة، هذه الفجوة تجيء بعد شعور مريم عليه السلام بآلام المخاض التي ألجأتها إلى جذع النخلة، والتي صاحبها الشعور بالخوف والقلق المتزايدان مع اقتراب موعد الولادة، وما قد يحصل بعدها، وفجأة، ودون ذكر لمشهد الولادة، ولا لوجود هذا الكائن الجديد، تسمع عليها السلام من يناديها من تحتها ألا تحزني، "وإنا لنكاد نحن لا مريم نهب على الأقدام وثباً روعةً من هذه الهزة وعجبا: طفل ولد اللحظة يناديها من تحتها ويمهد لها مصاعبها، ويهيء لها طعامها"[4].

وإنا نلحظ جليا كيف ساعدت الفجوة الفنية في نقل المفاجأة للمتلقي، حتى لكأنه في موقف مريم عليها السلام يحسّ بمشاعرها، ويتلقى مفاجآتها، مما يزيد من تفاعله مع القصة وتأثره بأحداثها، وانجذابه لمتابعتها.

---

[1] الكهف: 21.

[2] ينظر ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز، (506/3).

[3] مريم: 22-24.

[4] قطب، سيد، التصوير الفني في القران الكريم، ص198.

• وفي قصة سليمان عليه السلام: (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40))[1].

وتحكي الآيات عن رغبة سليمان عليه السلام بالإتيان بعرش ملكة سبأ، وعرض الجنود عليه مساعداتهم، كان الأخير منها قول الذي عنده علم من الكتاب: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، "وهنا فجوة كما تغمض العين ثم تفتح"[2]، لنرى المفاجأة بعدها، العرش مستقر عند سليمان عليه السلام، دون سابق إنذار يفاجأ به سليمان عليه السلام، ونتفاجأ معه، من سرعة ما حصل، ويزيد في هذه المفاجأة ما تم من حذف في الأحداث – كموافقة سليمان عليه السلام مثلاً على هذا العرض– تشير إلى شدة السرعة، وتثير الدهشة والعجب.

• وفي قصة دعوة موسى عليه السلام فرعون: (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (17) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18)[3].

وفي هذه الآية نلحظ رد فرعون المباغت المربك لموسى عليه السلام قبل الشروع في دعوته[4]: (قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا...)
ولا بد أن الفجوة في الأحداث بين أمر الله سبحانه موسى بالذهاب لفرعون، وبين مباغتة فرعون موسى عليه السلام، حيث لم يذكر ما كان من موسى عليه السلام: أن ذهب إلى فرعون وبدأ بعرض دعوته، بل ذكرت مباغتة فرعون له، حتى لكأنه ما استطاع أن يتكلم ابتداءً، لا بد أنّ هذه الفجوة خلقت جواً من المفاجأة لدى المتلقي، بالتزامن مع المفاجأة التي أشارت لها الآيات برد فرعون السريع على دعوة موسى عليه السلام، حيث أنّ الحدث المرتقب أن يذهب موسى عليه السلام استجابة لأمر الله فيبدأ بعرض دعوته، ثم يكون بعدها ما يكون.

---

[1] النمل: 38–40.

[2] قطب، سيد، التصوير الفني في القران الكريم، ص214.

[3] الشعراء:: 16–18.

[4] ينظر سطوف، عزوز، بلاغة مقام القص القرآني ، ص13.

إنّ هذه المفاجأة فوق ما تثيره في نفس المتلقي من رغبة في متابعة الحدث، تجعله يشعر ببعض ما عانى منه موسى عليه السلام من صدّ، وتخويف وإرهاب، بمجرد بعثته.

مسألة: عنصر المفاجأة غرض فني للفجوة يلتحق به أغراض دينية.

لا بد من الإشارة إلى أن عنصر المفاجأة غرض فني للفجوات، ويلتحق بهذا الغرض أغراض دينية:

- كالإشارة إلى الوقع الشديد للحدث على أشخاص القصة، كما يلاحظ في الأمثلة السابقة، في قصة مريم، وسليمان، وموسى عليهم الصلاة والسلام، فتكون إشارة إلى مدى ثباتهم وصبرهم أمام هذه المفاجآت، التي تؤثر في المتلقي من بعيد، فكيف بمن عايشها؟، مما يدعو المتلقي إلى الاقتداء بهديهم.

- الإشارة إلى كمال نفاذ القدرة الإلهية، وذلك بالانتقال فجأة إلى حدث عظيم، دون ذكر المقدمات، فيعزز مفهوم كمال القدرة الإلهية، وسرعة نفاذها، وذلك كما مر في قصة بعث أصحاب الكهف، وقصة نطق عيسى عليه السلام فور ولادته.

- كما أنها قد تخلق لدى المتلقي واعظا ذاتيا، إذا كانت المفاجأة متعلقة بالعقوبة ، وذلك خوفاً من أن تفاجئه العقوبة لو سار في طريقها، كما فاجأته في السرد، دون توقعها.

ومن أمثلة ذلك ما جاء من قصة صاحب الجنتين:

قال تعالى في قصة الرجل الصالح يعظ صاحبه: (أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42)[1].

ولم تشر القصة مطلقاً إلى الفاصل الزمني بين مشهد الحوار بين الرجلين ومشهد الإهلاك والتدمير، فيضيف هذا الحذف، أو الفجوة عنصر المفاجأة، حيث لم يكن الإهلاك متوقعا في هذه اللحظة، وبدون سابق إنذار نرى تلك الجنتين البهيجتين خاوية على عروشها، ونرى ذلك الرجل الفخور المستكبر مقلبا كفيه نادماً ، في لحظة خاطفة، دون الإشارة إلى مرور زمن، أو

[1] الكهف: 41-42.

تقلب أحوال![1]، فوجود هذه الفجوة في سياق عرض السورة كفيل بأن يثير المتلقي ويقوي انفعاله، متعظاً منيباً، خشية أن تفاجئه العقوبة، كما فاجأه المشهد، فهي تأتي على حين غفلة دون سابق إنذار، قال تعالى فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44) [2].

المطلب الخامس: بيان اللهفة

وقد حذف العرب في كلامهم للهفتهم في إيصال خبر ما، حتى كأنما ضاق المقام عن الذكر خوفاً من "فوات فرصة سانحة، كأن تقول للصيّاد المترقب الراصِدِ "وَعِل – غزال – أرنب – هذا – ذاك –"[3].

ويأتي مثل هذا الحذف في القصة القرآنية، فيحذف من أحداثها، أو حوارات أشخاصها، مما يعطي انطباعاً عن لهفة أشخاصها، فينقلنا إلى جو هذه اللهفة كأننا قد شهدنا هذه القصص بأنفسنا.

ومن الأمثلة الدالة:

- قوله تعالى في سورة يوسف:

(وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (45) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (46)[4].

وقد جاءت الفجوة تفصل بين مشهد وقوف الملأ في بيت العزيز يتناقشون في أمر رؤيا الملك، ويخبرهم صاحب السجن بأمر يوسف في تأويل الرؤى، وبين وقوفه بين يدي يوسف عليه السلام يسأله عن الرؤيا، وفيه تبيين للهفة صاحب السجن ولهفة الملأ كلهم في معرفة تأويل هذه الرؤيا العجيبة، فكأنه بحذف مشهد خروجه من بينهم وذهابه ليوسف ليه السلام، قد انطلق انطلاق السهم ووصل دون مدة فاصلة، وإن هذه اللهفة لتنتقل بدورها إلى القارئ أو السامع فيكون في

---

[1] انظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص148.(بتصرف)

[2] الأنعام: 44.

[3] الميداني، عبد الرحمن بن حسن حبنكة، البلاغة العربية، (339/1)، دار القلم، دمشق، ط1، 1416هـ.

[4] يوسف: 45-46.

لهفته كما كانوا، ويرفض أي تأخير في الوصول ليوسف عليه السلام وسؤاله عن هذه الرؤيا[1]، وإنما جلى هذه اللهفة والسرعة وجود الفجوة التي حذفت من الأحداث ما قد يثير شعور التأني ولو للحظة واحدة.

• قوله تعالى: (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (16)[2]

وجاء اختزال أحداث كثيرة حصلت بثلاث أفعال: "ذهبوا" و "أجمعوا" و"يجعلوا"، ولم يذكر كيف أذن لهم أبوهم ولا كيف ذهبوا بيوسف عليه السلام، ولا اجتماعهم، ولا أصواتهم، ولا إلقاؤهم لأخيهم في البئر، وكأن الزمان يطوى مع طي هذه الأحداث لبيان لهفتهم في تنفيذ الخطة، قبل اكتشاف أمرهم أو إفشاله[3].

• بيان لهفة الهدهد في إيصال الرسالة لملكة سبأ:

وقد تبين من سياق الآيات حرص الهدهد على إبلاغ دين الله للعالم، وحزنه لما لاقى في مملكة سبأ من عبادة الشمس دون الرب الرزاق، ثم الرجوع متلهفا لسليمان عليه السلام ليخبره الخبر (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (26) قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28))[4].

ولم يذكر بعدها ما كان من الهدهد، من استلام الرسالة والذهاب بها، وما قطع من مسافات، وكيف وصل وألقى الرسالة، إننا نرى فوراً مشهد الملكة تمسك بالكتاب، تستشير قومها فيه:

(قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30))[5].

---

[1] ينظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص128-129.

[2] يوسف: 15-16

[3] انظر سطوف، عزوز، بلاغة مقام القص القرآني ، ص19-23 (بتصرف).

[4] النمل: 23-28.

[5] النمل: 29-30.

مما يشعر المتلقي بضآلة كل هذه الأحداث المحذوفة في عين الهدهد المتلهف لإيصال الرسالة، والدعوة إلى الله سبحانه، فالمتلهف لا يناقش في أي أمر ولا يلتفت للجهد المبذول، إنه يريد أن يصل للغاية وبأقصى سرعة، وهذا ما تشير إليه الفجوة الفنية التي انتقلت بنا إلى الغاية دون التفات للأحداث قبلها.

• قوله تعالى: (وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (113) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (114) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (115)[1].

وتأتي الفجوة تطوي الزمان الفاصل بين حديث السحرة مع فرعون، وحديثهم مع موسى عليه السلام، وكأن لا زمن بين الحدثين، وذلك ينبئ بلهفتهم للقاء موسى، واستعراض ما لديهم، ليحظوا بالتقريب بعد الغلبة.

ومما يؤكد لهفتهم في البدء والاستعراض، غير الفجوة:

1- تخييرهم لموسى عليه السلام في أن يلقي أو يلقوا قبله، وهذا فعل الواثق بنفسه وقدراته[2].
2- بناء الآية الكريمة (وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ) "فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر"[3].

المبحث الثاني: الأغراض الدينية للفجوة الفنية

تأتي الفجوات الفنية في القصة القرآنية، لأغراض فنية، عرضناها آنفا، ولأغراض دينية تتوافق مع الأغراض الفنية وتتكامل معها ، إذ أنّ القصة في القرآن سيقت ابتداءً لترسخ أفكاراً دينية، لا لمجرد الاستمتاع بها، غير أنّ الفن يساعد في إيصال هذه الأفكار بأبهى صورة، وأعمق أثر.

وأما المقصود بالأغراض الدينية للفجوة، فهي الأفكار والمعتقدات والمشاعر الدينية التي تساعد الفجوة الفنية في إيصالها للمتلقي.

---

[1] الأعراف: 113-115.

[2] ينظر ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (438/2)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.

[3] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (140/2)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407.

"فالقصة القرآنية تخضع في طريقة عرضها للغرض المراد من هذا العرض، فهي أداة تربية للنفوس ووسيلة تقرير لمعان وحقائق ومبادئ"[1].

وتأتي الفجوة الفنية كطريقة من طرق عرض القصة، فتساعد على إيصال الرسالة الدينية والتربوية من القصة، لذا نجد كثيرا من قصص القرآن قد صيغت في أكثر من موضع، بطرق مختلفة، وأثبت في كل موضع أحداث، وحذف منه أحداث بحسب ما يقتضي المعنى، وتناسب الفكرة.

فقد تعرض القصة من أولها أو آخرها، أو يذكر منها حدث معين ويحذف آخر، وكله بحسب ما يقتضيه الغرض الديني، ويتناسب مع الفكرة المراد إيصالها من الآيات، ولا يلتفت لغير الهدف الديني، فالقصة القرآنية ليست قصة أدبية ولا تاريخية، إنما سيقت عبرة لأولي الألباب[2] .

المطلب الأول: التناسق مع السياق

إنّ من أهم أسس البلاغة وضع الألفاظ في موضعها المناسب الذي يليق بها، فيتضح بها المعنى ويكمل، ولو أبدل بها غيرها، أو وضعت في غير موضعها لفسد المعنى أو تبدل، ولذهب رونق الكلام وبلاغته[3].

وهذا ليس خاصاً بالألفاظ المفردة، بل ينطبق أيضاً على الجمل ومحالها في الكلام، فإنّ وضع الجزء المقصود من القصة في موضعه الذي يناسبه يصلح الكلام، ويزيده جمالاً وبلاغة.

وقد ذكر الرماني[4] في حديثه عن أوجه الإيجاز: "ايجاز باعتماد الغرض دونما تشعب"[5] ، وهو ما ينطبق على حديثنا في الفجوات إجمالاً، وفي غرض مناسبة السياق تحديداً، لأنه لا يذكر من القصة إلا ما يحقق الغرض، وما يناسب فكرة السياق، دونما تشعب.

---

[1] قطب، سيد، في ظلال القرآن، (2676/5).

[2] ينظر قطب، سيد، التصوير الفني في القران الكريم، ص162.

[3] ينظر الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم، بيان إعجاز القرآن، ص29.

[4] أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، كان مولده في سنة ست وتسعين ومائتين.أدرك الزجاج، وابن السراج، وقرأ عليهما "الكتاب"، وله تصنيف كبير، من تصنيفه كتابه الكبير في " معاني القرآن وشرح إعرابه "، وله كتاب " الاشتقاق"، و"رسالة منتخبة"من كتاب " الاشتقاق ". كان يجمع إلى علم النحو علم الكلام على مذهب البغداديين (المعتزلة)، وربما خلط الكلام في مواضع مع النحو بكلام المتكلمين. وله كتاب لطيف، لقبه كتاب " النكت في إعجاز القرآن"، وله شروح وتصانيف في علم الكلام. توفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة. (انظر التنوخي، أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر، تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، تح. عبد الفتاح الحلو)، (ص31)، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1412)و (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، (462/13).

[5] الرماني، أبو الحسن، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن الكريم ، ص79.

لذلك نجد القصص القرآني قد وزعت أحداثه في السور، بما يتناسق مع سياق السورة، وعرضت في كل سورة الأحداث التي تتناسب وموضوعها، وحذفت منها الأحداث التي لا تتناسب وموضوعها، وذلك لأنه ما من قصة وردت في القرآن إلا لهدف ومناسبة، "وهذه المناسبات التي يساق القصص من أجلها هي التي تحدد مسار القصة، والحلقة التي تعرض منها"[1].

وإنّ تغير الحلقات المعروضة من القصة ليؤثر كثيراً على السياق بدوره، فيستحيل معنى القصة إلى معنى آخر في كل سورة، حسب ما تشير إليه الحلقة المعروضة منها، فمثلاً قصة آدم عليه السلام تشير في سياق معين إلى بداية الخلق، وفي سياق آخر إلى العداوة بين إبليس وآدم، وفي سياق ثالث إلى نسيان آدم، ورابع إلى حقد الشيطان على آدم وذريته، وخامس إلى التباين بين آدم وإبليس[2].

وتلعب الفجوة في هذا دوراً كبيراً، فلولا وجود فجوات في أحداث القصة القرآنية، لكان لزاماً أن تعرض في كل مرة بكل أحداثها وتفصيلاتها، فتؤدي نفس الغرض في كل المواضع، وهذا يعارض الإيجاز، ويعارض البلاغة، ويفسد المعاني.

ومن الأمثلة الدالة:

• في سورة القمر، كان جو السورة منذ البداية جو التكذيب والانكار للرسالة والرسل دون استثناء أو تحديد، ودون تفكير أو ترو، قال تعالى (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (1) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (2) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (3) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (4) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ)[3] .

(فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ) أي: "فليست تغني عنهم النذر ولا ينتفعون بها، لإعراضهم عنها وتكذيبهم بها"[4]، وهذا هو سياق السورة والذي سيقت القصص موافقة له.

لذا تجد قصص الأنبياء المذكورة في السورة كلها تبدأ من مشهد التكذيب[5]، وحذفت كل المشاهد التي قبلها، وهذا مناسب لجو السورة ومطلعها، والغرض الذي سيقت القصص من أجله، وهو بيان التكذيب، دون تفكر، أو حتى محاولة سماع الرسالة!

---

[1] مطاوع، سعيد عطية علي، الإعجاز القصصي في القرآن، ص197.

[2] انظر خضر، محمد مشرف، بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم، ص23.

[3] القمر: 1-5.

[4] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن ، (573/22).

[5] انظر خضر، محمد مشرف، بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم، ص91، 93، 95.

قال تعالى في مطالع قصص سورة القمر: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ)[1] .

(كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ)[2] .

(كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ)[3].

(كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ)[4].

(وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (41) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ)[5].

- ما جاء من قصة سليمان عليه السلام في سورتي : ص والنمل:

ففي سورة ص، تبدأ السورة بقوله تعالى: (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ)[6] ويستمر السياق مع الذكر والتذكير، ففي قصة سليمان عليه السلام في السورة الكريمة عرضت الحلقات التي تتحدث عن ذكره لله، وعن انشغاله بالصافنات الجياد عن الذكر، ثم توبته وسؤاله الملك الذي منحه الله إياه.

قال تعالى: (وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (30) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (31) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (32) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ)[7].

أما في سورة النمل ابتدأت السورة الكريمة بقوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ)[8]، فجاءت حلقة العلم والحكمة اللتان أوتيهما سليمان عليه السلام (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ)[9] [10].

---

[1] القمر: 9.

[2] القمر: 18.

[3] القمر: 23.

[4] القمر: 33.

[5] القمر: 41-42.

[6] ص:1.

[7] ص30-33.

[8] النمل:6.

[9] النمل: 15-16.

[10] انظر خضر، محمد مشرف، بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم، ص44.

وبهذا ساعد وجود الفجوة على عرض الأحداث التي تتناسب وجو السورة، وترك بقية الأحداث لما يناسبها في سياقات أخرى، مما يضفي تركيزاً على الفكرة، وسهولة في استخلاص العبرة.

المطلب الثاني: قطع السياق لوصف الحدث، والتعليق عليه.

"من أثر خضوع القصة للغرض الديني أن تمزج التوجيهات الدينية بسياق القصة قبلها وبعدها وفي ثناياها كذلك"[1].

لذلك نجد كثيراً في سياق القصة القرآنية وقفات وصفية، تقطع المسار الزمني للسرد، لتصف الحدث المذكور أو تعقب عليه[2]، أو تجد هذه الوقفة قد اقتحمت على المتحاورين في القصة حوارهما وأخذت الموقف منهما لتدلي برأيها في الحوار[3] ، ثمّ تكون العودة للمسار الزمني في القصة، أو يكون قطع تام للحدث، لأنّ العبرة قد تمت.

ومن الأمثلة الدالة:

- قوله تعالى: (وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ)[4].

توقف السرد القصصي عند قوله تعالى: (وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً)، وأتبع بقوله تعالى: (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ)، وهو وعيد لهم حيث أسروه بضاعة، وهو حرّ[5] ، ثم عاد السرد بقوله تعالى: (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ)[6]، ولم تشر الآيات الكريمة إلى طريقة العرض والطلب مثلاً، ولا كيف تم البيع والاتفاق، لكن أشارت إلى العبرة والموعظة من الحدث، وهو قوله تعالى (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ).

- قال تعالى في قصة فرعون يجادل موسى عليه السلام: (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ

---

[1] قطب، سيد، التصوير الفني في القران الكريم، ص168.

[2] انظر خضر، محمد مشرف، بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم، ص80.

[3] انظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص136.

[4] يوسف: 19.

[5] انظر الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (452/2).

[6] يوسف: 20.

رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (54) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55) وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (56))[1].

ولم يكتمل المشهد، ولم يرد بم رد فرعون على جواب موسى عليه السلام، بل كان جواب موسى كمقدمة لبيان فضل الله وإنعامه على البشرية كلها[2]، وهذا أهمّ من معرفة ردّ فرعون، وتفاصيل الحادثة تلك تحديداً، كما أنّ هذه الفجوة، وما جاء فيها من تعليق، ساعدت في إنماء الفكرة وتطويرها، حتى وصلت إلى بيان شدة جحود فرعون وكفرانه لنعم الله وآياته، وذلك بقوله تعالى (وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى).

• قوله تعالى: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (80) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (81) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (83)[3].

وفي هذه الآيات توقف المشهد عند المثل المضروب، ولم تكتمل القصة، إنّما أبدلت الأحداث بما هو أهم من سرد قصة، أبدلت بحجاج بليغ يزيل ما أثير من شبهة بأحسن ما يكون من تبيان، يقول الرماني[4] رحمه الله: "فهذا أبلغ ما يكون من الحجاج"[5]، ولقد سيقت القصة لأجل الحجاج، فاقتصر من أحداثها على ما بلغ به المقصود.

• قوله تعالى: (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[6].

---

[1] طه: 49-56.

[2] انظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص137 (بتصرف).

[3] يس: 78-83.

[4] سبقت ترجمته

[5] الرماني، أبو الحسن، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن الكريم ، ص107.

[6] البقرة: 72-73.

وظاهر القصة أنّ المقصود هو الكشف عن القاتل، إلا أن هذا الحدث بالذات لم يذكر في نهاية القصة، وأبدل ببيان عظمة قدرة الله في إحياء الموتى، ورؤية بني إسرائيل لهذه الآية عياناً، أما كشف القاتل بعد تجلي عظمة الله وقدرته على إحياء الموتى، فحدث ضئيل معلوم بالضرورة[1].

• ومنه قول الله سبحانه في قصة موسى عليه السلام: (فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ (22) فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (23) وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (24) كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (26) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (27) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (28) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (29))[2].

وانظر كيف قطع السرد القصصي ليؤتى بما هو أهم منه هنا، بهذا الوصف الذي يزيد خشوع المتلقي وخضوعه[3]، أغرق القوم وانتهى أمرهم، بعد أن كان لهم ملك مصر، وجناتها، وعيونها، فأين ملكهم ونعيمهم الآن؟!.

• قوله تعالى: (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (139) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (140) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (141) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (142) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144)[4].

وانقطع السرد القصصي عند قوله تعالى (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ)، واستعيض عن وصف ما حصل مع يونس عليه السلام في بطن الحوت، بالعبرة المستفادة، والفكرة المراد استنباطها من الحدث، وهي ضرورة الاتصال بالله سبحانه عند الشدائد، لتحقيق النجاة منها، ولو توقف الأسلوب القرآني على وصف الأحداث، والاستفاضة فيها، لما برزت القيمة الدينية على هذا النحو المعجب[5].

---

[1] انظر الظواهري، كاظم، بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، 106ص-107.

[2] الدخان: 22-29.

[3] انظر دبور، محمد عبد الاله عبده، أسس بناء القصة من القرآن الكريم، دراسة أدبية ونقدية ، ص319.

[4] الصافات: 139-144.

[5] انظر دبور، محمد عبد الاله عبده، أسس بناء القصة من القرآن الكريم، دراسة أدبية ونقدية ، ص215.

• (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56) وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (57) وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (58)[1].

ولم يذكر أنّ الملك قال له: نعم وضعتك على خزائن الأرض، واستعيض عنه بذكر تمكين الله له، على طريقة قطع الحدث واستبداله بالعبرة أو الرسالة، وما أعظمها من رسالة، إنّ الذي مكنه هو الله، وهو سبحانه الذي يمكن للمؤمنين جميعا، ويغير أحوالهم وفق حكمته وإرادته.

ثمّ وبعد هذه الفجوة يرجع السرد ليبين ما بقي من أحداث، بعد هذا الانقطاع البليغ، قال تعالى (وجاء إخوة يوسف..).

مسألة: أسلوب حسن التخلص:

لا بدّ هنا من الإشارة إلى أنّ الحدث لا يقطع قطعاً مخلاً، أو مشتتاً، إنما ينتقل إلى الفكرة أو الفائدة الإيمانية المرادة بأسلوب (حسن التخلص)، أي بأسلوب سلس سهل يخطف القارئ من حدث إلى آخر دون أن يشعره بالانتقال، فإذا به في حضرة حدث جديد كأنّه تتمّة الحدث السابق[2].

• ففي مثال قصة يونس عليه السلام انتقل السياق بنا من حدث التقام الحوت لنبي الله يونس عليه السلام، إلى قوله تعالى: (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)[3]، بحيث يشعر المتلقي أن القصة لا تزال في طور السرد، وأن الحدث لم يقطع، فقد تلقى خبرًا بأنّه عليه السلام كان من المسبحين في بطن الحوت، وهذا ما قد أنجاه ممّا هو فيه.

• ومثاله أيضًا قوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام: (وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (86) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (90) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (91) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ

[1] يوسف: 55-58.

[2] ينظر القاسم، محمد أحمد يوسف، الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، ص320، ط1، 1399هـ.

[3] الصافات: 143-144.

(92) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (93) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (94) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (95)[1]

وقد توقف السرد القصصي عند دعاء إبراهيم عليه السلام، ودخلت فكرة جديدة مركزة، تصف يوم القيامة وما فيه من أحداث وأهوال، دون أن يشعر المتلقي بأدنى انقطاع، أو حتى انتقال، لاتصال دعاء إبراهيم عليه السلام (ولا تخزني يوم يبعثون) بما بعده اتصالاً وثيقًا[2].

المطلب الثالث: التعظيم.

قد تأتي الفجوة الفنية تؤدي غرض التعظيم، وذلك عن طريق حذف الجواب، لإفادة معنى المبالغة، ويكون الحذف حينها أبلغ من الذكر، لأن الذكر يقتصر على وجه من وجوه التعظيم، والحذف تذهب النفس في تخيله كل مذهب، ويحمل على كل وجه من وجوه التعظيم[3].

ومن أمثلته:

- قوله تعالى في قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)[4].

وجواب لمّا محذوف، إذ لم يذكر ما كان منهما بعد الحادثة العظيمة تلك، وإنّما دلّ الحذف على أنّ ما لحق بهما من الغبطة والسرور والنصر والغلبة والمكاسب الدنيوية والأخروية، أعظم من أن يحيط به الوصف، وتنقله اللغة، فصار حذفه أبلغ من ذكره. ويشير إليه قوله تعالى: (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) فقد جوزيا جزاء عظيماً يفوق الوصف[5]، ولو ذكر أي وصف في حالتهما حينها، ما وفاها، فكان الحذف أبلغ وأعظم.

---

[1] الشعراء: 86-95.

[2] انظر القاسم، محمد أحمد يوسف، الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، ص322.

[3] انظر الرماني، أبو الحسن، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن الكريم، ص106. و الباقلاني، أبو بكر، محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تح. السيد أحمد صقر، ص262، دار المعارف، مصر، ط5، 1997م.

[4] الصافات: 103-105.

[5] ينظر ابن الأثير، نصر الله بن محمد، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ص136، تح. مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، 1375هـ.

• وقوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)[1]

"وجواب «لمّا» محذوف. ومعناه: فعلوا به ما فعلوا من الأذى"[2]،ويفيد تعظيم فعلتهم، وما لحق بيوسف عليه السلام حينها، مما لا يحيط به وصف من الأذى النفسي والجسدي سواء.

المطلب الرابع: التحقير.

استعمل العرب الحذف للإشعار باحتقار ما يحذف، وصوناً للسان عن ذكره، كما يصان عن ذكر العورات والفواحش[3].

وقد تأتي الفجوة بحذف بعض الأحداث، تحقيراً لها وتقليلاً من شأنها.

ومن الأمثلة الدالة:

• قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام: (قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (123) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (124) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (125) وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (126)[4].

وظاهر الآية والمذكور فيها أنّ فرعون توعدهم بالعذاب والإهلاك والتصليب، وضرب على ذكر تعذيبهم وتصليبهم، وقد روى بعض المفسرين أنه قتلهم وصلبهم[5]، وفي الإعراض عن ذكر هذا حفظ لجلال الموقف، وعمق الإيمان في نفوس المؤمنين.[6]

ولربما لم يذكر في سورة الأعراف ولا في غيرها ما صنع فرعون بعد توعده السحرة، لأنّ أمره أحقر من أن يذكر، فماذا أنه لو فعل؟ ، أو حتى لم يفعل؟، أليس العاقبة للمتقين؟، ولقد قالها السحرة التائبون في وجه فرعون يحقرون قضاءه فيهم: (قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (73) إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ

---

[1] يوسف: 15.

[2] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (449/2).

[3] ينظر الميداني، عبد الرحمن بن حسن حبنكة، البلاغة العربية، (337/1).

[4] الأعراف: 123-126.

[5] ينظر ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (440/2).

[6] ينظر دبور، محمد عبد الاله عبده، أسس بناء القصة من القرآن الكريم، دراسة أدبية ونقدية ، ص121.

لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (74) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (75) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (76))[1].

ثم أثبت الله ما فُعل بفرعون وجنوده بعدها، قال تعالى:

فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (136) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (137)[2]

لقد أثبت الله سبحانه حسن عاقبة أتباع موسى عليه السلام في الدنيا والآخرة، ولم يثبت ما كان من فرعون، إن كان قد صلبهم فعلا أو لم يصلبهم، فليس هذا شيء يذكر– وإن كان قد حصل– مقابل فعل الله عز وجل.

• قوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام: (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69)[3]
لم يذكر ما فعلوا من إضرام النيران وإلقاء سيدنا إبراهيم فيها، حتى كأن فعلهم لا شيء، والأمر كله لله (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (70)[4]، هم يريدون، والله يفعل!.

• قوله تعالى: (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (54) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55))[5]
ومكرهم أنهم أرادوا قتل عيسى عليه السلام، ومكر الله أن رفعه إليه وشبهه إليهم[6]. وتلحظ كيف أن الآيات فصلت فعل الله سبحانه، ولم تذكر فعلهم، وفي هذا الحذف تحقير شأن مكرهم بعدم

---

[1] طه: 72–76.
[2] الأعراف: 136–137.
[3] الأنبياء: 68–69.
[4] الأنبياء: 69–70.
[5] آل عمران: 54–55.
[6] ينظر الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (366/1).

ذكر ما كان منهم، مقابل التفصيل فيما كان من رب العزة من إبطال مساعيهم، ونفاذ أمره ولو كره الكافرون.

المطلب الرابع: عدم تشتيت السامع:

تساق القصص في القرآن الكريم لإيصال فكرة للمتلقي، تساعد في فهمه لدينه وتمسكه بعقيدته وشريعته، لذا جاءت الفجوات الفنية تساعد المتلقي في الوصول إلى الفكرة، أو الهدف المراد، دون عناء، أو تشتت، فحذفت بعض مشاهد القصة القرآنية، لا لعدم أهميتها، ولكن لئلا يتشتت المتلقي في كم من الأحداث فيه كثير من العبر، فتضيع الفكرة – المراد التركيز عليها في الموضع– منه.

وقد ذكر الرماني[1] من معاني الإيجاز: "تهذيب الكلام بما يحسن به البيان"[2]، فإن الاستغراق في كلام كثير، وأحداث كثيرة، ولو كانت ذات عبر" يطغى على الموضوع فيضلل المتلقي، وينأى به بعيدا عن الموقف الحقيقي"[3].

فإذا هذب الكلام، ووزعت أحداث القصة الواحدة على سياقات عدة، تركزت الفكرة وحسن البيان في كل موضع منها.

ومن الأمثلة الدالة:

• في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم عرضت قصص الأنبياء متتالية بصورة متشابهة[4]، تبدأ بدعوة نبيهم، فيكذبوه فيهلكهم الله سبحانه، وهذا العرض المتشابه يوحي بتشابه الأقوام ونفسية هذا الإنسان الجحود المنكر، على مر العصور والأزمان، فكأنها تتحدث عن حادثة واحدة، باختلاف الشخوص والأزمان[5]، كما تشير لوحدة الأنبياء ووحدة الدعوة ووحدة الابتلاء لهم جميعا، حتى كأنهم نبي واحد[6]. ولو سردت قصص الأنبياء كاملة بكل تفصيلاتها لما تنبه المتلقي لهذه

---

[1] سبق.

[2] الرماني، أبو الحسن، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن الكريم، ص80.

[3] مطاوع، سعيد عطية علي، الإعجاز القصصي في القرآن، ص187.

[4] (انظر سورة يونس وهود والشعراء والنمل والقصص).

[5] ينظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص44.

[6] ينظر قطب، سيد، التصوير الفني في القران الكريم، ص171.

الفكرة، فقد جمعت القصص المتتالية المذكورة من مشاهد واحدة ذهن السامع على الفكرة المراد إيصالها دون تشتت في شعاب كل قصة منفردة.

• قال تعالى في بدايات سورة الذاريات: (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ[1])[2]، ثمّ جاءت قصص الأنبياء فيها على هذا النحو:

(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (24) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (25) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (26) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (27) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (28) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (29) قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (30) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (31) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (32) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (33) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (34) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (35) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (36) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (37) وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (38) فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (39) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (40) وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (41) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (42) وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ (43) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (44) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (45) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (46)[3].

ونلاحظ في الآيات الكريمة أن سياق قصص الأنبياء كلها – ابتداء من إبراهيم عليه السلام ، ومرورا بموسى عليه السلام، وقوم نبي الله هود، وصالح، ونوح عليهم الصلاة والسلام– تخدم الفكرة المذكورة في بداية السورة (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ)، وكيف أهلك الله هؤلاء الأقوام بعد طغيانهم وتكذيبهم، فالحدث المذكور في كل القصص بلا استثناء: حدث الإهلاك، ولم تذكر بقية أحداث القصص – وإن كانت قد ذكرت في سياقات أخرى– حفظا للفكرة، وتركيزا لها في ذهن السامع، ولو ذكرت الأحداث الأخرى لكل قصة منها، لتشتت المتلقي، وضاعت الفكرة.

[1] المتكهنون الذين يتخرّصون الكذب والباطل فيتظننونه (الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، (401/22).

[2] الذاريات: 10.

[3] الذاريات: 24–46.

وقد يتساءل البعض عن الحدث الذي لا يتعلق بإهلاك قوم سيدنا إبراهيم، وقد ذكر فعلاً في هذه السورة، قال تعالى: (فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (28) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (29) قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (30)[1].

إلا أنّ هذا الحدث بالتحديد، يخدم سياق الآيات السابقة التي ذكر فيها الرزق (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (23)[2]، وقد بينت الآيات بعد ذكر الحدث أنه لم يكن إلا بأمر الله وإرادته، وهو نوع من الأرزاق التي لن تتخلف عن صاحبها مطلقا، ثم إن الآيات بعدها انتقلت سريعا إلى حدث إهلاك القوم، دون الالتفات إلى ما كان بعد البشرى من أحداث، وهي كثيرة، لئلا يتشتت ذهن المتلقي.

• تصوير الأهوال متتالية في قصة مريم عليها السلام، دون انقطاع، للإشارة إلى صعوبة ما مرت به ، فيكون لذكر الفرج والعطايا بعدها ما له من وقع على ذهن المتلقي وقلبه.

(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21)[3].

وبعد هول ما رأت وسمعت، تجيء الفجوة الفنية لتتركنا مع هول المشهد، وتنتقل بنا إلى مشهد آخر أشد هولا [4]، وذلك قوله تعالى:

(فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (23)[5].

وهنا تأتي فجوة أخرى لتنتقل لمشهد عظيم آخر ، قال تعالى: (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24)[6].

---

[1] الذاريات: 28-30.

[2] الذاريات: 22-23.

[3] مريم: 16-21

[4] ينظر قطب، سيد، التصوير الفني في القران الكريم، ص197.

[5] مريم: 22-23.

[6] مريم:24.

المطلب الخامس:

بيان السرعة:

كثيراً ما أفادت الفجوة في القصة القرآنية معنى السرعة، والسرعة على اختلاف مواضعها وأحداثها في القصص، أفادت معان دينية سامية، كل معنى استنبط من سياق الأحداث والحذف فيها ، وهي على النحو التالي:

أولاً: سرعة الاستجابة لأمر الله:

تأتي الفجوة لتؤكد هذ المعنى النبيل، وذلك تربية للمتلقي، وسموا بفكره وسلوكه عن التباطؤ أو التلكؤ في الاستجابة لأمر ربه.

ومن الأمثلة الدالة:

• قول الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (31)[1]

وقوله الحق: { ... فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ}"يعني أن عملية السجود قد حدثت بصورة مباشرة وحاسمة وسريعة"[2].

وفي الآيات فجوة تقديرها: فخلق الله آدم وسواه ونفخ فيه من روحه، فسجد الملائكة[3].

والفجوة بين إخبار الله الملائكة بخلق آدم، وأمرهم بالسجود له، وسجودهم دون ذكر الخلق والنفخ، لتتضافر مع التعبير (فقعوا)، ومع (كلهم أجمعون) ومع (حرف الفاء)، في إفادة السرعة والفورية والجهوزية لتنفيذ أوامر الله دون تلكؤ، هذا كله مقابل إباء إبليس الخضوع والانقياد، والتبرير بالحجج الواهية، قال الزمخشري: "فَقَعُوا فخروا، كل: للإحاطة. وأجمعون: للاجتماع، فأفادا معا أنهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك إلا سجد، وأنهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرّقين في أوقات"[4]

---

[1] الحجر: 28-31.

[2] الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، (7695/12)، مطابع أخبار اليوم، د.ط، نشر عام 1997.

[3] ينظر أبو السعود، (تفسير أبي السعود)، (75/5).

[4] الزمخشري، الكشاف، (105/4).

ثانياً: سرعة الجزاء (بالخير أو بالشر)

مما يفيد الترغيب في الخير وإن كان مرّاً، والترهيب من الشرور، فالعاقبة قريبة، والحساب سريع.

1. سرعة عاقبة الشرّ:

ومن أمثلته:

• قوله تعالى: (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (25) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (26) [1].

جاءت الفجوة هنا تفصل بين قول فرعون: "أنا ربكم الأعلى" ، والتنكيل به في الدنيا والآخرة، "وروي أنه مكث بعد قوله: أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى أربعين سنة"[2]، وهذه الفجوة تفيد معنى السرعة في إهلاك فرعون، حتى كأنه وللوهلة الأولى يبين للمتلقي أنّ الإهلاك كان بعد المقولة مباشرة، وذلك لأنها كانت سبباً مباشراً لإهلاكه والتنكيل به في الدنيا والآخرة.

وجملة (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) هي تفريع على الجمل التي قبلها والتي بينت التكذيب والانكار والجرأة على الله تعالى، وهي العبرة والعظة التي سيقت القصة من أجلها[3].

• (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (35) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (36)[4].

وقد حذف جواب الأمر، الذي تقديره: فذهبا إليهم فكذبوهما، وأثبت طرفا القصة، فبهما تحقق المقصود[5]، وزيادة على الإيجاز، يفهم من حذف الجواب هذا سرعة تحقق العقوبة في قومهم، فما أسرع أن تمر سنين التبليغ، وتكون النتائج، وهذا موافق لسياق الآيات التي تحدثت عن الدار الآخرة، والعاقبة قبل ضرب مثل قصة موسى وهارون عليهما السلام، وذلك قوله تعالى: (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا (34)[6].

---

[1] النازعات: 24-26.

[2] ابن عطية، المحرر الوجيز، (434/5)

[3] ينظر ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي، التحرير والتنوير، (81/30).

[4] الفرقان: 35-36.

[5] انظر ابن الأثير، نصر الله بن محمد، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ص129.

[6] الفرقان: 34.

2. سرعة عاقبة الخير.

ومن أمثلته:

• قوله تعالى: (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (10) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (11) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (12) مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (13)[1].

وقد عجّلت الآية بذكر عاقبتهم في الآخرة لطمأنتهم بوقايتهم مما كانوا يخشون، وتبشيرهم بما كانوا يرجون.[2]

ولم يذكر ما كان بين المشهدين من مواقف كثيرة في مدة زمنية طويلة، تفصل بين الدنيا والآخرة، مما يفيد قصر الدنيا، وسرعة الجزاء.

• قوله تعالى: (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (21) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (23) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (24) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (25) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (27))[3].

وتأتي الفجوة الفنية تحذف من الأحداث ما فعل بالمؤمن من أذى وتعذيب وقتل، ويستنتجه القارئ مما جاء بعده من قوله تعالى (قيل ادخل الجنة) وهو إيحاء بسرعة العاقبة وقرب الجزاء، وأن ما وقع للرجل من الاذى ما كان شرًا، بل هو الخير كله، إذ أنه ربح العاقبة ولذلك قال: (يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين)[4].

ثالثًا: سرعة التكذيب دون تفكر

ومن الأغراض الدينية التي تفيدها الفجوة الفنية، بيان ما كان من الأقوام السابقة من تكذيب وعناد فور سماعهم الرسالة، حتى كان من بعضهم رفض سماعها أصلًا.

---

[1] الإنسان: 9-13.

[2] ينظر قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3782/6).

[3] يس: 21-27.

[4] ينظر الظواهري، كاظم، بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، ص190.

ومن أمثلته:

- قوله تعالى: (قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (47) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (48) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (49) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (50) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (51) فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (52))[1].

جاءت الفجوة في هذا الموضع بين كلام الله سبحانه لمريم، والبشرى بعيسى عليه السلام، وبين قوله تعالى: (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ) ، وتقدير الجمل المحذوفة: فولد عيسى، وكلم الناس في المهد، وبعث وجاء بالمعجزات وأنذر قومه وأدى ما أمره الله به، فكفروا به وكذبوه (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ...)[2] .

وحذف هذه الأحداث كلها، بما فيها دعوة عيسى عليه السلام قومه، تشعر بأن التكذيب كان خيارهم قبل أن يسمعوا الرسالة، لأن تكذيبهم لم ينتج عن عدم تصديق أو اقتناع، وإنما كان عنادًا واستكبارًا.

ويؤيد هذا ما جاء بعدها من آيات في نفس السورة: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (70) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (71))[3]، إنهم يريدون التكذيب، فقط التكذيب، ولو عرفوا الحق كما يعرفون أبناءهم.

---

[1] آل عمران: 47-52.

[2] ينظر ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي، التحرير والتنوير، (254/3).

[3] آل عمران: 70-71.

• ومنه ما جاء في بني إسرائيل من الإشارة إلى سرعة التفاتهم عن معجزات ربهم، وذلك في قوله تعالى: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)[1]

"فما هي إلا أيام قليلة بعد أن نجاهم الله من فرعون حتى أعلنوا التمرد على موسى وعلى من أرسله، والعجيب حقًا أن القرآن الكريم يوضح هذا التمرد فيحكيه معطوفًا على حديث المعجزة نفسه"[2] .

والفجوة هنا تأتي بعد مجاوزة بني إسرائيل البحر، وقبل إتيانهم القوم الذين يعكفون على أصنام لهم .

ولكن الأحداث البينية لم تذكر هنا لإفادة سرعة النسيان، والالتفات عن أمر الله، والله أعلم.

رابعًا: سرعة الفرج.

وتفيد الفجوة أحيانًا سرعة فرج الله على عباده وأوليائه، ولو ظن القانطون عكس ذلك، فالفرج قريب، والدنيا قصيرة، والأيام دول.

وتأتي الفجوة في هذا تطوي أحداثًا وأيامًا كثيرةً، فتوحي للمتلقي بقصر الأيام ولو طالت، وبضآلة الكرب ولو كبر.

ومن أمثلته:

• قوله تعالى: (فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ (22) فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (23) وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (24)[3]

وقد حذفت تتمة دعاء موسى عليه السلام: (أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ)، وذكرت إجابة الله تعالى له ، إذ من المعقول أن يأتي بعد هذا الوصف طلب، لكنه حذف، كما لو أن الله تعالى قطع عليه تتمة كلامه بتعجيل البشرى، وسرعة الإجابة.[4]

---

[1] الأعراف: 138.

[2] دبور، محمد عبد الاله عبده، أسس بناء القصة من القرآن الكريم، دراسة أدبية ونقدية ، ص133.

[3] الدخان: 22-24.

[4] انظر الظواهري، كاظم، بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، ص190. و الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، (28/22).

• قوله تعالى: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (9) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (10) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (11) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (12) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (13) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (14)[1].

ولم يذكر في الآيات مشهد الأمر ببناء السفينة والشروع ببنائها، ومرور القوم به عليه السلام يبنيها، وحمله فيها من كل زوجين اثنين.. الخ، كل هذا حذف، رعاية للمقام، فهو مقام استنصار بالله، جاء بعده مشهد الطوفان دون فواصل، لبيان سرعة نصر الله لنوح عليه السلام، وكذلك ينصر عباده المؤمنين.

المطلب السادس: بيان حتمية نفاذ القدرة الإلهية.

• ومن ذلك قوله تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21)[2].

وتأتي الفجوة بعد هذا الحدث العظيم الذي وقع لمريم عليها السلام، ليتصور القارئ فيها ما أصابها من الاضطراب والذهول والأمور العظام، ويكمل السياق سرد القصة[3]:

(فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (23)[4]

وهذه الفجوة التي جاءت في موضع الاضطراب والقلق الشديدين، تضعنا مباشرة أمام النتيجة المبهرة (فحملته) مما يؤكد ما جاء في الآية السابقة (هو علي هين)، وقد صورت الفجوة يسر وقوع أمر الله سبحانه وسرعته، ونفاذ حكمه وإرادته، بحذف بعض الأحداث التي كانت بعد هذا الحوار وقبل الحمل، لنرى مريم عليها السلام قد حملت وكادت أن تضع، إنه حكم الله الذي لا معقب لحكمه!.

---

[1] القمر: 9-14.

[2] مريم: 16-21

[3] قطب، سيد، التصوير الفني في القران الكريم، ص197 (بتصرف).

[4] مريم: 22-23.

• قوله تعالى: (قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (66) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (70))[1]

(وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا)

فيها فجوة فنية تقديرها: فألقى عصاه، فحصلت المعجزة بأن تحولت لأفعى فالتقمت كل العصي والحبال التي هيئت له أنها تسعى[2].

وهذه الفجوة بحذف فعل الإلقاء، ثم ابتلاع العصا كل ما جاء به السحرة، قد يفيد معنى تحقق أمر الله ووعده، دونما شك أو تلكؤ، فالأمر نافذ لا محالة، دونما حاجة لإقرار ما قد تم، ومما يدل على هذا المعنى العظيم، قول الله سبحانه في الآية: (وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ)، "(تلقف) بالجزم جواب الأمر؛ كأنه قال: إن تلقه تتلقف؛ أي تأخذ وتبتلع"[3]، ثم حذف تلقفها، وأثبت النتيجة (سجود السحرة).

• قوله تعالى: (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (64) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (65) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (66)[4] .

"أَيْ: فَضَرَبَهُ (فَانْفَلَقَ)"[5].

---

[1] طه: 65-70.

[2] ينظر ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (52/4).

[3] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تح. أحمد البردوني، (223/11)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ.

[4] الشعراء: 61-66.

[5] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (115/6)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ.

وكذلك: قوله تعالى: (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (60)[1].

أي: فضرب موسى فانفجرت، واكتفي بالمسبب عن السبب[2].

وربما حذف السبب –فعل الضرب من موسى عليه السلام– لأن السبب الحقيقي هو القدرة الإلهية وليس الضرب، فهو لبيان القدرة أبلغ.

• قوله تعالى: (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (12) فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (13) [3].

والفجوة الفنية التي جاءت بعد (ناصحون) معلومة من السياق تقديرها: فجاءت بأمه، أو ذهبت بهم إليها، فأرضعته فقبلها[4].

وقد حذف هذا كله، وذكر ما يتعلق بفعل الله ورحمته في هذا الموقف الصعب (فرددناه..)، لنعلم أن قدرته هي النافذة، وأن الرد لم يكن إلا برحمته، ليس بتدخل البشر.
ونلاحظ أن الفجوات هنا جاءت في مواضع الاضطراب أو القلق، كأنها تنطق أن لا قلق مع وجود العزيز القدير، ولا شك أن قدرته نافذة.

المطلب السابع: رعاية مقام النبوة وتنزيهها عن الزلل.

ومن المعاني التي ساهمت الفجوات في إبرازها: تنزيه الأنبياء عن الزلل، وذلك بالإعراض عن ذكرها، أو المرور عليها دون تفصيل أو توضيح، مع التفصيل في رجوعهم وتوبتهم.

---

[1] البقرة: 60.

[2] ينظر ابن الأثير، نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (225/2).

[3] القصص: 12–13.

[4] ينظر أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تح. صدقي محمد جميل، (291/8)، دار الفكر، بيروت، ط1، 1420هـ.

ومثاله:

• قوله تعالى في قصة داود عليه السلام، حيث جاءه الخصمان: (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24)[1].

الفجوة في الآيات الكريمة جاءت بعد قوله تعالى: (وَقَلِيلٌ مَا هُمْ)، و(وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ)، إذ لم يذكر في الآيات ما الخطأ الذي ارتكبه داود عليه السلام ليستغفر منه، وجاء في روايات إسرائيلية ما كان منه مما حذف في القصة، ولكنها لم تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، فندعها[2].

المهمّ هو أنّه فعل فعلًا استلزم الاستغفار، وفي الإعراض عن ذكره رفع لمقام النبي الكريم وتنزيه له عن ذكر خطئه لسمو مكانه عند الله[3].

• قوله تعالى في قصة يونس عليه السلام: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87)[4].

واختلف المفسرون في تفسيرهم لقوله تعالى (فذهب مغاضبا)، وتفصيل ما أغضبه وكيف ذهب[5]، فهذه فجوة في القصة، تفيد التغاضي مّا فعل هذا النبي الكريم، مقابل توبته ورجوعه واستغفاره، وهو تنزيه له عن الزلل.

---

[1] ص: 23-24.

[2] ينظر ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح. سامي سلامة، (60/7)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ.

[3] انظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص159.

[4] الأنبياء 87.

[5] ينظر الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، (511/18).

المطلب الثامن: بيان شدة عجز الآلهة

ومثاله: قول الله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام: (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58)[1]

ولم يذكر كيف حطمهم، أو مشهد التحطيم، وكأنه قد حطمهم بلا جهد، صورتهم في الآية الكريمة (جذاذا[2]) بعد أن كانوا (آلهة) مباشرة دون فواصل، فهم لا حول لهم ولا قوة ولا لسان ولا دفاع!.

---

[1] الأنبياء: 57-58.

[2] جذذ: الجَذُّ: كَسْرُ الشَّيْءِ الصُّلْب. جَذَذْتُ الشيءَ: كسرتُه وقطَعْتُه والجُذاذُ والجِذاذُ: مَا كُسِرَ مِنْهُ، وَضَمُّهُ أَفصح مِنْ كَسْرِهِ، والجَذُّ: القَطْع الوحِيُّ المُستأْصِلُ، وَقِيلَ: هُوَ الْقَطْعُ المستأْصِل فَلَمْ يُقَيِّدْ بِوَحَاءٍ؛ جَذَّهُ يَجُذُّهُ جَذًّا، فَهُوَ مَجْذُوذٌ وجَذيذ، وجَذَّذَه فانْجَذَّ وتَجَذَّذ. وَفِي التَّنْزِيلِ: عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ؛ والجَذُّ: الْقَطْعُ، والجُذاذ: المُقَطَّع والجِذاذُ: الْقِطَعُ الْمُكَسَّرَةُ، مِنْهُ. فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً

أَي حُطاماً. (ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، (479/3).

.

الفصل الثاني

تقسيم الفجوات

تحدثت في الفصل السابق عن الفجوات وأغراضها في القرآن الكريم، وفي هذا الفصل أبين أنواع الفجوات في القرآن وأقسامها بحسب عدة معايير، مما يساعد على فهم كيفية وجودها في القصة القرآنية، وبعض أسباب وجودها بكيفية معينة، مع أمثلة توضيحية لكل ما يذكر.

وقد أوضح صاحب كتاب "بدائع الإضمار القصصي" كيف تأتي الفجوة أو القفزة في أحداث القصة القرآنية، فقسمها إلى: "القفز بالحدث عبر الزمان والمكان معا"[1]، و"وحدة المكان والقفز بالحدث عبر الزمان"[2]، ونقلت عنه هذا التقسيم، وأضفت إليه تقسيمين آخرين، حسب معايير أخرى، وبالله التوفيق.

المبحث الأول: تقسيم الفجوات بحسب أثرها في الزمان والمكان[3].

المطلب الأول: الفجوة الزمانية:

من عناصر القصة القرآنية وغيرها: عنصر الزمن، إلّا أنّه لا يذكر في القصة القرآنية إلا عند ضرورة وجوده، أي إذا كان له دور في الحدث، وتوضيحه، وإلا فيكون الزمن مطلقًا غالبًا في القصص القرآني، وذلك لأن الأحداث متشابهة في كل زمن، وإن اختلفت الشخوص[4].

غير أنّ الحديث عن الفجوة الزمانية في القصة القرآنية لا يقصد به عدم الإشارة إلى زمن وقوع الحدث، إنما يعني: وجود فراغ زمني وسط أحداث القصة القرآنية، تطوى فيه كثير من الأحداث، لأغراض عدة، مرت آنفًا.

---

[1] الظواهري، كاظم، بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، ص137.

[2] نفس المصدر، ص161.

[3] انظر نفس المصدر، ص133.

[4] انظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص83-91.

ويفهم القارئ من النص وجود فجوة زمنية لم تذكر بدلالة بعض الألفاظ في الآية الكريمة، مثل: ألف سنة، وبضع سنين، ولما، لما تشير إليه من انقضاء الزمان، ولقدرتها على إضمار كثير من الأحداث قبلها[1] ، كما أنه وفي بعض الأحيان لا يشار لزمن منصرم، فترد الأحداث كأنها في زمن واحد، إلا أن دلالة الحال تشير إلى وجود فجوة في الزمن طويت فيه أحداث من القصة.

ومن أمثلة وجود فجوات زمانية، مع وجود ألفاظ دالة على انقضاء الزمن:

• قول الله تعالى في قصة سليمان عليه السلام: (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (42)[2]

وفي الآيات فجوتين زمانيتين أشير إليهما بلفظ دال: (فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ)، (فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ).

• قوله تعالى عن قوم عاد: (وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (21) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (22) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (23) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (24) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (25)[3]

وقولهم (فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا) استعجال منهم بالعذاب[4]، وقد حذفت الأحداث بين استعجالهم العذاب، وإتيانه بغتة، مما ينمي عنصر المفاجأة في القصة، سيما أنهم ظنوه مطرًا لا عذابًا، وإذا به ريح تدمر كل شيء.

---

[1] ينظر سطوف، عزوز، بلاغة مقام القص القرآني ، ص11.

[2] النمل: 38-42.

[3] الأحقاف: 21-25.

[4] انظر الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (307/4).

وهي فجوة زمانية طوت زمنًا قضي بالتكذيب والإنكار والغفلة، ثم ما لبث أن انتهى سريعًا، ليرى القوم ما كانوا يستعجلونه رأي العين، وكأنهم لا زالوا واقفين يجادلون هود عليه السلام ما برحوا أماكنهم.

أمّا اللفظ الدال على الحذف فهو قوله تعالى: (فلمّا) في: (فلما رأوه عارضًا مستقبل أوديتهم).

• قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22) وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23)[1].

وطوي الزمن بين وصول يوسف عليه السلام لبيت العزيز وبين حادثة المراودة، رغم طوله، واكتفي بالإشارة إليه فقط لأنه لم يساهم في إنماء القصة[2]، وكانت الإشارة في قوله تعالى: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ).

• وقوله تعالى في قصة يوسف أيضا: (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (42))[3]

وفي الآية فجوة زمانية مقدارها بضع سنين، لم يذكر ما كان من حال يوسف عليه السلام فيها، إلا أن القرينة المعنوية – والمستنتجة من سياق الحوارات التي دارت بين يوسف عليه السلام وأصحابه في السجن– تكشف أنه عليه السلام كان في دعوة إلى الله وذكر له، على غرار ما كان منه قبل هذه السنين[4].

ويلاحظ من الأمثلة أن الفجوة الزمانية عامة لا تحد بمدة معينة، لكنا نستطيع تقديرها بالطول أو القصر بدلالة الفحوى، إلا أنه بحالة نادرة حدت هذه الفجوة بمدة معينة، في قوله تعالى:

---

[1] يوسف:21–23.

[2] انظر سطوف، عزوز، بلاغة مقام القص القرآني سورة يوسف أنموذجا ، ص11–12.

[3] يوسف:42.

[4] انظر سطوف، عزوز، بلاغة مقام القص القرآني سورة يوسف أنموذجا ، ص126.

• (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ)[1] [2].

حددت مدة الفجوة بألف سنة إلا خمسين عامًا، وهي مدة طويلة لم يذكر فيها ما كان من قوم نوح عليه السلام، إلا أن قول الله تعالى بعدها (فأخذهم الطوفان) دل على التكذيب والإنكار[3].

وكل هذه أمثلة على فجوات ذكر ما يدل عليها من ألفاظ، مثل: (لمّا، وبضع سنين، وألف سنة إلا خمسين عامًا).

وهناك فجوات زمانية لم يرد من الألفاظ ما يدل على وجودها، إلا أن فحوى الكلام يدل عليها، وذلك مثل:

• قوله تعالى في قصة الرجل الصالح يعظ صاحب الجنتين: (أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42)[4].

حيث حذف من الأحداث ما كان بين موعظة الرجل الصالح وإهلاك الجنتين[5]، وبينما الأحداث تدور في نفس المكان – في البستان– ينقلب الحال من السراء الى الضراء وكأنها ثانية واحدة، وكأنه مشهد واحد!، إلا أن حدث الإهلاك يدل، ولا بد، على تكذيب وإعراض، أدى لما آل إليه الحال.

وبهذا يتحقق غرض الفجوة كالمفاجأة[6] والسرعة.

---

[1] العنكبوت: 14.

[2] انظر خضر، محمد مشرف، بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم، ص118.

[3] انظر خضر، محمد مشرف، بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم، ص91.

[4] الكهف: 41–42.

[5] انظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص148.(بتصرف)

[6] انظر المصدر نفسه، ص148.(بتصرف)

المطلب الثاني: الفجوة الزمانية والمكانية معًا:

في الفجوة الزمانية جاءت الفجوات تطوي أحداثًا في أزمان طويلة أو قصيرة، لترجع بنا إلى ذات المكان الذي كنا فيه قبل وقوع الحذف، كمملكة سليمان عليه السلام مثلًا، أو قصر العزيز في قصة يوسف عليه السلام، أو الجنتين في قصة صاحب الجنتين.

أمّا في هذا النوع من الفجوات –الفجوات الزمانية والمكانية معًا– فتطوى أحداث بأزمانها وأماكنها، لتنتقل بعد هذا الحذف إلى أماكن وأزمان مختلفة عما كان قبله.
ومن أمثلتها:

قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام:

- (وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (62) فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (63) [1].

جاءت الفجوة بعد حديث يوسف عليه السلام مع إخوته في مصر، ورجوعهم إلى ديارهم ليحدثوا أباهم بما حصل.

- قوله تعالى: (ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (81) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (82) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (83) [2].

في هذه الآيات أيضًا جاءت الفجوة لتفصل بين كلام كبير الإخوة مع إخوته في مصر، بعد أن أخذ يوسف عليه السلام أخاه منهم، وبين كلام يعقوب عليه السلام مع أبنائه في ديارهم، حتى

[1] يوسف: 62-63.

[2] يوسف: 81-83.

كأنه مشهد واحد، لا يملؤه إلا فحوى الكلام، إذ لا بد من رجوعهم ليحكوا لأبيهم ما واجههم فيرد عليهم بقوله: (بل سولت..). [1]

• (يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (87) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (88)[2] .

وفي هذه الآيات جاءت الفجوة تفصل بين كلام يعقوب عليه السلام مع أبنائه في ديارهم، ودخول الأبناء على يوسف عليه السلام في مصر. [3]

• (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (93) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (94)[4]
وهنا جاءت الفجوة لتفصل بين كلام يوسف عليه السلام مع إخوته في مصر، ووصولهم لديارهم في الشام.

وكل هذه الفجوات اختصرت ذكر الزمان والمكان، بما تضمناه من مسافات بعيدة بين يوسف عليه السلام وإخوته، دون إشعار للقارئ بهذا الحذف، بل ساهمت الفجوة في تصوير مشهد سينمائي، يتنقل فيه القارئ بين المشاهد المتسلسلة، لا يقطعه عنها ذكر هذه الرحلات[5] ، وهي مفهومة ضمن سياق النص، فحذفها أبلغ وأمتع من ذكرها.

• ما جاء في قصة المؤمن في سورة يس: (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (21) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا

[1] ينظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص129.
[2] يوسف : 87-88
[3] ينظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص129.
[4] يوسف: 93-94.
[5] ينظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص129.

يُنْقِذُونِ (23) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (24) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (25) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (27)[1].

(إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ... قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ) وقد حذف من الأحداث ما لحق بالرجل المؤمن بعد إعلان إيمانه، وقبل دخوله الجنة، وفيه عدا الإيجاز تحقيق للغرض الديني، وهو الإشارة إلى سرعة انقضاء الدنيا وجزاء الآخرة، حتى أنه لم يكد يعلن إيمانه فإذا به يدخل الجنة[2].

وهي فجوة زمانية ومكانية مميزة عجيبة، فصلت بين عالم الشهادة وعالم الغيب، على ما بينهما من البعد والتفاوت، دون إشعار القارئ بهذا البعد الزمني والمكاني الكبير[3] .

• وكذلك ما جاء من قصة مؤمن آل فرعون، قال تعالى: (فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (44) فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (45) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46))[4].

إذ جاءت الفجوة لتفصل بين كلامه مع قومه، وعرض مشهد من مشاهد الحساب له ولقومه، ففصلت بين الدنيا والآخرة وما تحويانه من تباين شديد في الزمان والمكان، في ترابط معجب غير مخل ولا منقص، بل إنه يزيد في معنى الحدث ما لا يزيده التفصيل.

وفي القصتين تم حذف الحدث نفسه، وهو ذكر ما حل بهذين المؤمنين من تعذيب وقتل، حتى عرض المشهد الأخير المعتبر الخالد، ذلك أن القتل والتعذيب أسخف من أن يذكر مقابل جزاء الآخرة، وأن الله سريع الحساب.

كما أنّ من معاني حذفه تنزيه السمع عن إدراك ما فعل بهم لأجل الدعوة والصدع بكلمة الحق.

---

[1] يس: 20-27.

[2] ينظر دبور، محمد عبد الاله عبده، أسس بناء القصة من القرآن الكريم، دراسة أدبية ونقدية ص124.

[3] المصدر نفسه ، ص123 (بتصرف).

[4] غافر: 44-46.

المبحث الثاني: تقسيم الفجوات بالنسبة لموضعها من القصة.

وتنقسم إلى فجوات ابتدائية، ومتوسطة، وختامية، وفي كل منها ما هو:

- بالنسبة للقصة بكل مواضعها من القرآن (مجموعة)، أي أننا عند جمع كامل تفاصيل القصة من كتاب الله تعالى، لا بد أن يبقى منها أحداثاً قد حذفت فلم ترد في أي موضع من مواضعها في القرآن.

- وبالنسبة لموضع معين منها في سورة معينة، إذ إنّ كثيراً من قصص القرآن وزعت أحداثها على أكثر من سورة، وحذف من الأحداث في سورة معينة ما لم يحذف في غيرها من السور، بما يتناسب مع سياق السورة، وفكرتها.

المطلب الأول: الفجوة الابتدائية.

وهي الأحداث التي تحذف من بداية القصة القرآنية.

وقد لعبت الفجوة الابتدائية دوراً في حسن الابتداء لمعظم القصص القرآني، حيث إنّ حسن الابتداء شعار البراعة، وأمارة الاقتدار في باب البلاغة، لأنه أول ما يقرع السمع ويثير انتباه النفس[1].

ومن حسن الابتداء الذي أضافته الفجوة الابتدائية:

- أنّ القصة كانت تعرض من حيث تبدأ المواعظ والعبر[2].

- أنّ القصص المعروضة في سورة معينة تبدأ ابتداء يليق بسياق آيات السورة، والفكرة المراد توصيلها[3].

- كما أنها تفيد شد الانتباه لحدث معين يؤثر تأثيرا بالغاً في سير أحداث القصة والفكرة المراد توصيلها من القصة ككل في القرآن الكريم، وهذا كبداية قصة إبراهيم عليه السلام من حدث نظره في النجوم.

ومن أمثلة الفجوات الابتدائية:

- في سورة القمر ابتدأت قصص الأنبياء كلهم من مشهد التكذيب والإنكار[4]،

قال تعالى في مطالع قصص الأنبياء في سورة القمر:

---

[1] انظر خفاجي، محمد عبد المنعم، الأسلوبية والبيان العربي، ص126، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1412هـ.

[2] انظر أبو ستيت، الشحات محمد عبد الرحمن، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، ص11.

[3] انظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص238.

[4] انظر خضر، محمد مشرف، بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم، ص91، 93، 95.

(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (9)[1]
(كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (18)[2]
(كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (23)[3]
(كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (33)[4]
(وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (41) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (42)[5].

ذلك أن جوّ السورة منذ البداية جوّ التكذيب والإنكار للرسالة والرسل دون استثناء أو تحديد، ودون تفكير أو ترو، قال تعالى: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (1) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (2) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (3) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (4) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (5)[6].
أي: "فليست تغني عنهم النذر ولا ينتفعون بها، لإعراضهم عنها وتكذيبهم بها"[7].
فجاءت القصص مناسبة لفكرة السورة وسياق الآيات، والغرض الذي سيقت القصص من أجله، وهو بيان التكذيب، دون تفكر، أو حتى محاولة سماع الرسالة!.

• سورة طه: كان المشهد الأول المعروض من حياة موسى عليه السلام، هو: إيحاء الله سبحانه لأم موسى أن تقذفه في اليمّ، ثمّ ما كان يحيطه من الرعاية الإلهية في رحلته تلك، قال تعالى (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39)[8]، ولم يذكر السبب الذي كان وراء هذا المشهد، وهو طغيان فرعون وتجبره، مع أنّه ذكر في موضع آخر من القرآن الكريم، قال تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4)[9].

---

[1] القمر: 9.
[2] القمر: 18.
[3] القمر: 23.
[4] القمر: 33.
[5] القمر: 41-42.
[6] القمر: 1-5.
[7] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، (573/22).
[8] طه: 37-39.
[9] القصص: 4.

هذا لتراعي هذه الفجوة الابتدائية سياق الآيات التي وردت فيها، إذ المعرض هنا معرض التذكير لموسى بإنعام الله ومنه عليه (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى).

أما في سورة القصص، فقد كان جوّ السورة يناسب أن يعرض فيه المشهد الأول المحذوف في سورة طه، إذ السياق يتحدث عن قصة موسى عليه السلام في الحياة كلها، تذكيرا لبني إسرائيل بإنعام الله عليهم، وإنجائه لهم من فرعون وبطشه، وإنذاراً للعرب من عاقبة الظالم، وتبشيرًا للمؤمنين بالنصر والغلبة، وهذا واضح في الآيات الأولى من السورة ، قال تعالى: (طسم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (3) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5)[1]، وفي الآيات عرض المشهد الأول من القصة، السبب الذي دفع أم موسى لأن تلقيه في اليم، إنه بطش فرعون وتذبيحه لأبناء بني إسرائيل، وخوف أم موسى عليه، قال تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7)[2]، ويظهر الفرق جليا بينها وبين آية طه التي لم يرد فيه مسألة الخوف أو بطش فرعون ببني إسرائيل.[3]

• في سورة الحاقة ابتدأت قصة ثمود وعاد بالتكذيب، قال تعالى : (كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (4) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (5) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6)[4]
وكذلك فرعون ، ومن قبله، والمؤتفكات، قال تعالى: (وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (9) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً (10) إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (11) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (12) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (13) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (14) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (15)[5].
وذلك أنّ المقصود بالذكر ابتداء مشهد التكذيب بالقيامة، لمناسبتها مطلع السورة، وجوها، وفكرتها، ثم مرّ مشهد تكذيبهم وإهلاكهم سريعًا، حتى وصلت الأحداث بنا الى الحدث الأعظم،

---

[1] القصص: 1-5.

[2] القصص: 7.

[3] انظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص238.(بتصرف).

[4] الحاقة: 4-6.

[5] الحاقة: 9-15.

مشهد القيامة، وابتدأت الآية بحرف الفاء التي ترد للتعقيب: (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (13) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (14) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (15))[1].
وقد ذكرت القيامة ابتداء وفخم شأنها، ورجع السياق يشرحها[2]،وهي المقصودة، وعليها يدور سياق السورة، ولأجلها سيق القصص بفجوة ابتدائية، ليكون التركيز على ما يتعلق بها، لا بسواه.

• عدم ذكر المراحل الأولى لحياة كثير من الأنبياء كنوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وغيرهم عليهم السلام، وذلك لأن كل قصة من قصصهم بدأت من حيث ابتدأت العبر والمواعظ فيها، وهي الهدف من سياق القصة في القرآن، فحيث لم يتعلق بها درس أو موعظة، أعرض عن ذكرها، في مقابل ذلك ذكرت قصة موسى عليه السلام منذ البداية، منذ ولادته، وكذلك عيسى عليه السلام، لما فيهما من الدروس والعبر، والثبت التاريخي والديني ما لا يخفى على أحد.[3]
هذا بالنسبة للقصص بكل مواضعها من القرآن الكريم.

هذا وقد تكون الفجوة الابتدائية فجوة في الأحداث بالنسبة للقصة ككل في القرآن الكريم، لا بالنسبة لمقطع القصة المعروض في سورة معينة من القرآن.
فمثلاً بالنظر إلى قصص الأنبياء في القرآن نرى قصصًا:
• عرضت منذ الحلقة الأولى كقصة آدم عليه السلام، التي عرضت من مشهد ما قبل الخلق، مرورًا بخلقه وسجود الملائكة وسكناه في الجنة... الخ، لما فيها من عبر بارزة وأغراض دينية وتاريخية متحققة، وكذلك قصة عيسى عليه السلام، فقد عرضت من مشهد ما قبل الولادة، وحين ولد إلى وفاته، لما فيها من بيان قدرة الله تعالى، وتصحيح لمسارات انحرفت عن الجادة.

• هذا، ونجد قصصا أخرى عرضت من حلقة متأخرة نسبيًا، كقصة يوسف عليه السلام، فإنها لم تعرض منذ ولادته، وإنما عرضت من مشهده صبيا يقص رؤياه على أبيه، تلك الرؤيا التي سارت قصته كلها في القرآن متأثرة بها، ولم يكن لحلقة ولادته أهمية في القصة ولا تأثيرا عليها، فتركت فجوة، وبدئت الأحداث من حيث الحلقة المؤثرة.

---

[1] الحاقة: 13-15.

[2] ينظر البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح.محمد عبد الرحمن العشماوي، (240/5)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.

[3] ينظر أبو ستيت، الشحات محمد عبد الرحمن، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، ص11.

وكذلك قصة إبراهيم عليه السلام، فقد بدئت بمشهده فتى ينظر في النجوم ويتفكر ويحاجج قومه، هذه المشاهد المؤثرة في قصته، التي يدور عليها الغرض الديني من عرض القصص في القرآن، ولم يكن لمشهد ولادته أو كونه طفلا هذا الأثر، فتركت هذه المشاهد كفجوة ابتدائية لقصة إبراهيم عليه السلام في القرآن كله.

• كما أن من القصص ما عرض من حلقات متأخرة جدا، كقصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم الصلاة والسلام، ما عرضت إلا من حيث أرسلوا مبشرين ومنذرين، وكانت الفجوة الابتدائية في قصصهم طويلة، لأن الدروس المستفادة من قصصهم ابتدأت مع بعثتهم لا قبلها[1].

[1] انظر قطب، سيد، التصوير الفني في القران الكريم، ص162-164.

المطلب الثاني: الفجوة في وسط الأحداث والفجوة الختامية

أولا: الفجوة في وسط الأحداث:

وهو الحذف الذي يرد في وسط أحداث القصة، فيفصل بين أحداثها محققا أهداف الفجوات القرآنية، ومنتقلا بالمتلقي من زمان أو مكان لآخر، دون أن يشعر بنقص الحدث، بل يفتح له آفاقا ومعان جليلة لم تكن لو لم يكن الحذف.

والأمثلة عليها كثيرة أوردت منها سابقاً في الرسالة وأعيد التذكير ببعضها على عجل:

• منها ما كان بغرض الإيجاز كقوله تعالى: (قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (13) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (14) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15)[1].

فلم يذكر رد يعقوب عليه السلام على أولاده بالموافقة بل ذكرت النتيجة فورا، ففهم منها رد يعقوب عليه السلام.

• ومنها ما هو بغرض إحياء المشهد كقوله تعالى: (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (17) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18)[2].

فقد حذف كيف ذهب موسى وهارون عليهما السلام إلى قصر فرعون وكيف التقياه وكيف بدأ الحوار، بل ابتدأ مباشرة بقول فرعون (ألم نربك) وهذا مما يدمج المتلقي في جو الحدث حتى كأنه جزء منه.

• ومنها ما يحقق عنصر المفاجأة كقوله تعالى: (فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (23) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا

[1] يوسف: 13-15.

[2] الشعراء: 16-18.

أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24)[1]. إذ يبين مفاجأة مريم عليها السلام ويفاجأ المتلقي معها بحذف مشهد الولادة وذكر من يناديها من تحتها.

• ومنها ما هو بغرض بيان السرعة كقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30)[2] ، فلم يذكر في الآية خلق آدم عليه السلام وذكر سجود الملائكة مما يؤكد سرعة استجابتهم لأمر الله.

ويجمع بين هذه الفجوات أنها وردت في وسط أحداث القصة، فاقتطعت جزءاً منها إلّا أنّ هذا المقطوع قد أفاد من المعاني ما لم يكن لولاه، وقد وردت الكثير من الفجوات المتوسطة في قصص القرآن يلاحظها من يمعن النظر في القصة، حتى تكاد لا تخلو قصة منها.

ثانياً: الفجوة الختامية:

كما لعبت الفجوة دورها في حسن ابتداء القصص القرآني كذلك كانت في حسن ختام القصص، وكما ابتدأت قصص القرآن الكريم من حيث ابتدأت المواعظ والعبر، كذلك انتهت بانتهائها، فلا نجد حدثًا في قصة قرآنية ذكر عبثًا دون فائدة أو موعظة، وكذلك كما كان كل مقطع من قصة يبتدئ بما يناسب سياق السورة فإن ما يعرض فيه من أحداث يناسب سياقها إلى منتهاه، كما أن للفجوات الختامية فوائد عدة ذكرت مع ما ذكر من فوائد في الفصل الأول.

ومن أمثلتها:

• قول الله تعالى في قصة سحرة فرعون حين إيمانهم:

(قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (121) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (122) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (123) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (124) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (125) وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (126)[3].

---

[1] مريم: 22-24.

[2] الحجر: 28-30.

[3] الأعراف: 121-126.

(فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (46) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (48) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (49) قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (50) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (51)[1].

انتهت القصة في الموضعين بفجوة ختامية حذفت ما وقع من قتل وتصليب؛ "ليحتفظ المشهد بجلاله وعمقه: جلال الإيمان الصحيح وعمقه في نفوس المؤمنين"[2]

• في نهاية قصة آدم عليه السلام في سورة الأعراف قال تعالى: (قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25) [3].

وفي الكلام محذوف دل عليه جمع الضمير(تحيون)، (تموتون)، (تخرجون)، وتقديره أن آدم عليه السلام وزوجه قد استقرا في الأرض وكانت لهما الذرية، وقال لهم الله تعالى: (فيها تحيون وفيها تموتون..) [4].

والفجوة فيها ختامية، لا يعود ذكر قصة آدم عليه السلام وزوجه في القرآن كله بعدها، ذلك أن المقصود من ذكر القصة في القرآن قد انتهى إلى هنا.

---

[1] الشعراء: 46-51.

[2] دبور، محمد عبد الاله عبده، أسس بناء القصة من القرآن الكريم، دراسة أدبية ونقدية ، ص121.

[3] الأعراف:24-25.

[4] ينظر ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي، التحرير والتنوير، (71/8).

المبحث الثالث:

تقسيم الفجوات بالنسبة لطولها

وهي فجوات طويلة، وفجوات قصيرة.

المطلب الأول: الفجوة الطويلة

وهي فجوة يمتد زمنها إلى سنوات طويلة، حتى أنها قد تفصل بين الدنيا والآخرة، ومثالها:

• قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (6)[1].

(فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) أي: فلما جاءهم أحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبينات[2].

وسياق الآيات تتحدث عن التكذيب والإنكار، على علم، وبعد تبليغ، فالآية السابقة تحكي عن قوم موسى وما بدر منهم من إيذاء له وهم يعلمون أنه رسول الله، فناسب أن يذكر تكذيبهم لأحمد عليه الصلاة والسلام، بعد مشهد تبليغهم وإعلامهم من عيسى عليه السلام بقدومه، ولو ذكرت كل المشاهد الفاصلة بين الحدثين، على كثرتها، وطول زمنها، لشتت المتلقي، وضاعت الفكرة.

فالفجوة هنا فجوة زمنية طويلة جدًا تمتد من زمن بشارة عيسى عليه السلام بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، إلى زمن تكذيبه صلى الله عليه وسلم، الغرض منها ذكر الأحداث متناسقة بنفس السياق، سياق تكذيب الرسل.

• قوله تعالى: (قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (47) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (48) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (49) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (50) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي

---

[1] الصف: 6.

[2] ينظر الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، (359/23).

وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (51) فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (52))[1].

جاءت الفجوة في هذا الموضع بين كلام الله سبحانه لمريم، والبشرى بعيسى عليه السلام، وبين قوله تعالى: (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ)، وتقدير الجمل المحذوفة: فولد عيسى عليه السلام، وكلم الناس في المهد وكبر وبعث وجاءهم بالآيات والبينات فكذبوه (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ...)[2] .

وفي الفجوة إيجاز بليغ، إذ ذكرت المراحل المحذوفة في سياق الكلام على سبيل البشارة بعيسى عليه السلام وما سيحصل له، فلو جيء بها مرة أخرى لتكرر الكلام وطال، وهذا لا نجده في كلام الله تعالى.

- قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ)[3]

والفجوة هنا فجوة زمنية طويلة، حددت في الآية بألف سنة إلا خمسين عاما، ولم يذكر شيء مما كان من القوم في هذه المدة الطويلة .

إلّا أنّ فحوى الكلام أشار إلى ما كان منهم ، وذلك قوله تعالى: (فأخذهم الطوفان) وهو دلالة واضحة على ما كان منهم قبل الإهلاك من تكذيب وظلم[4].

المطلب الثاني: الفجوة القصيرة

وهي فجوة زمنية في الأحداث مدّتها قصيرة، كبضعة أيام، أو بضعة ساعات، ومثالها:

- قوله تعالى: (فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (65) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (66)[5].

وهذه فجوة مقدارها ثلاثة أيام، لم يذكر ما كان فيها من ثمود، ثم ذكر العذاب مباشرة، وفيه دليل على استمرار كفرهم وعصيانهم حتى جاءهم العذاب.

---

[1] آل عمران: 47-52.

[2] ينظر ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي، التحرير والتنوير، (254/3).

[3] العنكبوت: 14.

[4] انظر خضر، محمد مشرف، بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم، ص91.

[5] هود:65-66.

• قوله تعالى: {فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (16) }[1]

وقد جاؤوا أباهم بعدما ألقوا يوسف في غيابة الجب[2]، ولم يذكر في الآية إلقاء يوسف عليه السلام في الجب، بعد ذكر إجماعهم على ذلك.

وهي فجوة قصيرة، استغرقت بعض اليوم.

حذف فيها جواب لمّا، ومعناه: فعلوا به ما فعلوا من الأذى، بغرض تعظيم فعلتهم، وما لحق به عليه السلام[3].

• قوله تعالى: (وَقالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جاءَهُ الرَّسُولُ قالَ ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ فَسْئَلْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (50)[4].

وفيها فجوات قصيرة يدل عليها الكلام، وتتقديرها: فذهب الرسول فجاء يوسف عليه السلام، فلمّا كلم يوسف بالخبر، قال له يوسف: ارجع إلى ربك...[5].

وهذه فجوات قصيرة يدل على قصرها الحال، إذ لا يحتمل أن يكون بين أمر الملك وإجابته وقتاً طويلاً.

• قوله تعالى: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40)[6]

وهذه فجوة بين (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) و(فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ) وتقديرها: "فدعا الله، فأتى به; فلما رآه سليمان مستقرا عنده"[7].

---

[1] يوسف: 15-16

[2] انظر الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، (577/15).

[3] ينظر الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (449/2).

[4] يوسف: 50.

[5] ينظر ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (251/3-252).

[6] النمل:40.

[7] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تح. أحمد محمد شاكر، (468/19).

وزمنها قصير جداً ، اختلف فيها على قولين: فقال بعض المفسرين: "معناه: أنا آتيك به قبل أن يصل إليك من كان منك على مدّ البصر"[1]، "وقال آخرون: بل معنى ذلك: من قبل أن يبلغ طرفك مداه وغايته"[2]، وكلا التفسيرين يدل على زمن لا يتجاوز الدقائق القليلة.

[1] المصدر نفسه، (467/19).

[2] المصدر نفسه، (467/19).

الفصل الثالث

ملء فجوات القصة القرآنية

تحدثت عن حذف حدث أو أحداث من القصة القرآنية وأغراض هذا الحذف، وأنواعه.
وفي هذا الفصل أتحدث عن كيفية ملء هذه الفجوة من الأحداث في القصة القرآنية.

وقد اجتهد المفسرون في هذا اجتهاداً كبيراً، وملؤوا هذه الفجوات بالقرآن الكريم أولًا، إذ ورد في كثير من المواضع القرآنية ما يكمل أحداثًا لمواضع أخرى من القصص القرآني، ثم بالسنة المطهرة، بما ورد فيها من أنباء عن خبر من قبلنا، ومنهم من أدخل الروايات غير الصحيحة أيضا والإسرائيليات في ملء هذه الفجوات، وأخيراً استدلوا عليها بدلالة الحال أو فحوى الكلام.

قال ابن تيمية[1] رحمه الله في طرق التفسير:
إنّ أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اخْتُصِر من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، وإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، وإذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، وقد يقع تباينا في ألفاظهم في تفسير الآية، يحسبها من لا علم عنده اختلافاً، فيحكيها

[1] أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الإمام العلامة الحافظ الحجة فريد العصر بحر العلوم تقي الدين أبو العباس الحراني ثم الدمشقي، ولد بحران في ربيع الأول سنة إحدى وستين وست مائة، سمع ابن عبد الدائم , وابن أبي اليسر , والمجد بن عساكر , وأكثر عن أصحاب حنبل , وابن طبرزد , ومن بعدهم، ونسخ وقرأ وانتقى، وبرع في علوم الآثار والسنن ودرس وأفتى وفسر وصنف التصانيف البديعة، وقد بلغت ثلاثمائة مجلدة، ومنها: «كتاب الصارم المسلول على منتقص الرسول» و «كتاب تبطيل التحليل» و «كتاب اقتضاء الصراط المستقيم» وغير ذلك.
وقد سجن غير مرة ليفتر عن خصومه ويقصر عن بسط لسانه وقلمه وهو لا يرجع ولا يلوي على ناصح إلى أن توفي معتقلا بقلعة دمشق في العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبع مائة. (ينظر الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، المعجم المختص بالمحدثين، تح. محمد الهيلة، ص24–26، مكتبة الصديق، الطائف، ط1، 1408هـ) و(الداوودي، محمد بن علي بن أحمد، طبقات المفسرين، (50/1)، دار الكتب العلمية، بيروت).

أقوالًا وليس كذلك. فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو نظيره، ومنهم من ينص على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن، ومن الأئمة من لم يعتبر أقوال التابعين في الفروع ولا في التفسير حجة على من خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة؛ فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو السنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك. [1]

فأمّا تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام، ولكن من تكلم بما يعلم من التفسير لغةً وشرعًا فلا حرج عليه؛ ولهذا روي عن الصحابة وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة؛ لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد؛ فإنّه كما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه[2].

وطرق التفسير هذه هي نفسها طرق ملئ الفجوة في القصة، إذ هو تفسير للآيات، وفي المباحث تفصيل هذا إن شاء الله.

المبحث الأول: ملء الفجوات بالقرآن

إنّ أول مصدر من مصادر تفسير القرآن هو القرآن نفسه، وكذلك هو أول مصدر من مصادر ملئ الفجوات، فإنها جزء لا يتجزأ من تفسير القرآن الكريم.
ويكون ملء الفجوات بالقرآن صراحةً أو دلالةً.

المطلب الأول: ملء الفجوات بالقرآن صراحة.

والأحداث في معظم قصص القرآن ذات طبيعة تراكمية أي أن أحداث القصة مبثوثة في مواطن مختلفة من القرآن الكريم تشكل في مجموعها قصة متكاملة، فالقارئ يستدعي الأحداث من تلك المواطن رابطًا بين أجزاء القصة وفق تسلسل منطقي، فيقف آخرًا على قصة متكاملة بأطوارها

[1] ينظر ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير، ص40-45، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1980م.

[2] ينظر ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير، ص46-50.

المختلفة[1] ، وقد سبقنا إلى ذلك المفسرون فنكاد لا نرى حدثًا في القرآن يمكن استدعاؤه في موضع آخر إلا وقد ذكره العلماء أو أشاروا إليه.

ومثاله:

• قول الله تعالى في سورة الأعراف، في قصة ثمود:(قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (75) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (76) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (77) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (78))[2] وقد حذفت أحداث من القصة، قبل عقر الناقة، تعلم من سياقات أخرى من القرآن الكريم [3] وذلك قول الله تعالى في سورة الشمس: (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (11) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (12) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (13) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (14))[4]

• قول الله تعالى في سورة الصافات: (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (139) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (140) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (141) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (142) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (145) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (146) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (147) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (148)[5]

وحذف من الآيات ما بعد (وإن يونس لمن المرسلين)، لماذا أبق؟، وما الذي حصل معه عندما دعا قومه؟ ، وبينتها آيات سورة الأنبياء[6]، قال تعالى: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) [7]، كما أن آيات سورة الصافات أكملت ما حذف من مشاهد القصة في سورة الأنبياء، وهي ركوبه في الفلك، ثم إلقاؤه في البحر، ثم التقام الحوت له.

---

[1] انظر سطوف، عزوز، بلاغة مقام القص القرآني سورة يوسف أنموذجا ، ص30.

[2] الأعراف: 75-78.

[3] انظر خضر، محمد مشرف، بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم، ص94.

[4] الشمس: 11-14.

[5] الصافات: 139-148.

[6] انظر دبور، محمد عبد الاله عبده، أسس بناء القصة من القرآن الكريم، دراسة أدبية ونقدية ، ص114.

[7] الأنبياء: 87

• في تفسير ابن كثير[1] لقصة إبراهيم عليه السلام في سورة إبراهيم حين دعا لمكة بالأمن فقال: (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا) [2] فسرها باستجابة الله له، فقد جاء في العنكبوت: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) [3].[4] وهذه فجوة ختامية في قصة دعاء ابراهيم عليه السلام، إذ لم تذكر استجابة الله له في آيات سورة إبراهيم، ملئت بآية من سورة العنكبوت.

• وكذلك في تفسيره لقوله تعالى: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37))[5]فسرها بقوله تعالى (أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا)[6] دلالة على استجابة الله تعالى لدعاء إبراهيم عليه السلام. [7]، فقد ملئت الفجوة الختامية هنا أيضًا بموضع آخر من القرآن من سورة العنكبوت.

• قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام في سورة طه: (إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (40)) [8] واختصرت قصة مشي

---

[1] ابن كثير،الشيخ الإمام العالم الحافظ المفيد البارع، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ذرع البصروي الأصل الدمشقي الشافعي، ولد بمجدل من أعمال مدينة بصرى في سنة إحدى وسبعمائة . أفتى ودرس وناظر وبرع في الفقه والتفسير والنحو، وأمعن النظر في الرجال والعلل . وتصانيفه معروفة مذكورة، منها: "التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل." وكتاب "البداية والنهاية" و "الهدي والسنن في أحاديث المسانيد والسنن" وغير ذلك. توفي سنة 774هـ.
(ينظر الحسيني، شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة، ذيل تذكرة الحفاظ، ص38، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ) و(المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، تهذيب الكمال في اسماء الرجال، (64/1)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400هـ).

[2] إبراهيم:35.

[3] العنكبوت:67.

[4] ينظر ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، (512/4).

[5] ابراهيم:37.

[6] القصص: 57.

[7] ينظر ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، (514/4).

[8] طه:40

أخته في سورة طه، وفصلت في القصص[1]، قال تعالى في سورة القصص: (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (11) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ {12} فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ} [2]. فتفاصيل الحادثة، كتحريم المراضع عليه، ما جعل أخته تدلهم على أمه، لم تذكر في سورة طه، وذكرت في القصص، لتملأ سورة القصص فجوة في الأحداث من سورة طه.

وبهذا نعلم أنّ الصور العديدة للقصة الواحدة في القرآن ليست من باب التكرار، وإنّما تؤدي غرضها في السياق، وتملأ كل منها فجوة الأخرى[3].

المطلب الثاني: ملء الفجوات بالقرآن دلالة.

لا يكون تفسير القرآن بالقرآن عمل مباشر نقلي فقط، وإنّما يتعدى ليكون عملًا عقليًا، يبذل فيه المفسر طاقاته العقلية واللغوية ليستنتج ما في النص من دلالات لغوية وعقلية، منطوقة ومفهومة، وينسق بين نصوص القرآن حاملًا المطلق على المقيد والعام على الخاص، وغير ذلك من وجوه التأويل[4].

فكثير من الفجوات الفنية في القصة القرآنية لم يرد من الآيات ما يملؤها صراحة، ولا بد إذن من ملئها بدلالة الخطاب أو فحوى الكلام، وهذا هو الحذف المقبول لغويًا[5].

وعلم الدلالة علم مستقل بذاته واسع لا أستطيع حصره في هذا الموضع، إلا أنّي سأذكر بعضاً منه، مما يخص هذا الموضوع.

فالدلالة في اللغة: إِبَانَةُ الشَّيْءِ بِأَمَارَةٍ تَتَعَلَّمُهَا، وذلك قَوْلُهُمْ: دَلَلْتُ فُلَانًا عَلَى الطَّرِيقِ.[6]

---

[1] ينظر ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي، التحرير والتنوير، (219/16).

[2] القصص: 11-13.

[3] انظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، ص246.(بتصرف)

[4] ينظر أبو أروى، توفيق العبقري، مصادر التفسير، وهو عبارة عن مقال من منشورات مجلة الحكمة، ص26، بتصرف بسيط.

[5] ينظر الرماني، أبو الحسن، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن الكريم، ص76.

[6] ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، (259/2).

وأما علم الدلالة فهوعلم "دراسة المعنى"[1].

وقد تحدث فيها علماء اللغة والتفسير والفقه، وقسمها بعضهم أقسامًا، لم يتفقوا عليها:

- فقد سماها الجاحظ[2] النّصبة فقال: "وأمّا النّصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد. وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض، وفي كلّ صامت وناطق، وجامد ونام، ومقيم وظاعن، وزائد وناقص. فالدلالة التي في الموات الجامد، كالدلالة التي في الحيوان الناطق. فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان."[3]

- وقال الخطابي[4]:"المعقول من الخطاب عند أهل الفهم كالمنطوق به"[5]
- وقال ابن الشجري[6]: إن حذف المضاف فى كلام العرب وأشعارها، وفي القرآن الكريم أكثر من أن يحصى، وأحسنه ما دل عليه معنى أو قرينة أو نظير أو قياس.

فالدلالات عنده:

1- دلالة المعنى : كقوله جلّ جلاله: {وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ} [7] أي حبّ العجل، وكقوله: {وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ}[8] أي أهل القرية، وكقوله: {فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا}[9] أي أمر الله.

---

[1] ليونز، جون، اللغة وعلم اللغة، ص184، دار النهضة العربية، ط1.

[2] سبق.

[3] الجاحظ، عمرو بن بحر الكناني الليثي، البيان والتبيين، (86/1).

[4] سبق.

[5] الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم، بيان إعجاز القرآن، ص52.

[6] هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة بن علي ، أبو السعادات بن أبي الحسن العلوي الحسني، المعروف بابن الشجري.من أهل الكرخ. كان إماماً في النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها كامل الفضائل، متضلعاً من الآداب صنف فيها عدة تصانيف، فمن ذلك كتاب: الأمالي ، والانتصار، والحماسة.

مولده في رمضان سنة خمسين وأربعمائة،وتوفي في السادس والعشرين من رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ببغداد، ودفن في داره بالكرخ. (ينظر الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، تاريخ بغداد، (190/21)، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1422هـ) و(ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، وفيات الأعيان، تح. إحسان عباس، (45/6)، دار صادر، بيروت، 1900م).

[7] البقرة:93.

[8] يوسف:82.

[9] الحشر:2.

2- والقرينة: كقول النابغة[1]:

وقد خفت حتّى ما تزيد مخافتى ...على وعل في ذي المطارة عاقل[2]

أي على مخافة وعل وهو تيس الجبل.

ودلّ على ذلك تقدّم ذكر المخافة، وأنه قصد إلى تشبيه حدث بحدث.

3- ودلالة النظير كقوله سبحانه: {هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ}[3] أراد هل يسمعون دعاءكم؟ كما قال فى الأخرى: {إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ}[4].

4- ودلالة القياس كقولهم: الليلةُ الهلالُ، أي طلوع الهلال، ، وإنما دلّ على المحذوف أن ظروف الزّمان لا تكون أخباراً عن الأعيان.[5]

- وأمّا ابن جنيّ[6]، فقسمها إلى ثلاثة أقسام[7]:

1- فأقواهنّ الدلالة اللفظية

2- ثمّ تليها الصناعية

3- ثمّ تليها المعنوية.

ومثالها: كل الأفعال، كفعل قام:

---

[1] النابغة الذبياني وهو زياد بن معاوية ابن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض الشاعر المقدم. عن الشعبي قال عمر أشعر العرب النابغة روى عنه قرة بن خالد وكنية النابغة أبو أمامة (الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، ص252، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ) و(ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تاريخ دمشق، (223/19)، دار الفكر للطباة والنشر والتوزيع، ط1415هـ).

[2] النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، البحر الطويل، ص154، دار الكتاب العربي، ط1991م.

[3] الشعراء:72.

[4] فاطر:14.

[5] انظر ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، أمالي ابن الشجري، تح. محمود الطناحي، (78/1-80)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1413هـ.

[6] عثمان بن جني، أبو الفتح الموصلي النحوي اللغوي، مولده قبل الثلاثين وثلاثمائة، له كتب مصنفة في علوم النحو أبدع فيها وأحسن: منها، التلقين، واللمع، والخصائص، وغير ذلك، سكن بغداد ودرس بها العلم إلى أن مات سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة. (ينظر الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، تاريخ بغداد وذيوله، (310/11)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ) و(الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء، تح. إحسان عباس، (1585/4)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414هـ.).

[7] ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الخصائص،(100/3)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.

والذي يدل لفظه على مصدره.
ويدل بناؤه على زمانه.
ويدل معناه على فاعله.

وإنّما جاءت الدلالة المعنوية في آخر الأقسام لأنها لاحقة بعلوم الاستدلال، وليست في حيز الضروريات؛ فإنك حين تسمع ضرب قد عرفت حدثه وزمانه ثم تنظر فيما بعد فتقول: هذا فعل، ولا بدّ له من فاعل، فمن هو؟ وما هو؟ فتبحث حينئذ إلى أن تعلم الفاعل من هو وما حاله، من موضع آخر لا من مسموع ضرب[1] .

فالدلالة المعنوية تثير تساؤلات القارئ فيبحث فيما وراء النص ليفهم منه ما لم ينطق، وهي ما يخصّ موضوع البحث، إذ يبحث المفسر أو قارئ القرآن فيما يدل عليه لفظ الآية مما لم ينطق، فيملأ فيه فراغ ما بين أحداث القصة القرآنية بفهمه النصّ، لا بلفظ النصّ ذاته.

- وقسمها شمس الدين الأصفهاني[2] إلى منطوق ومفهوم،

المنطوق: وهو ما دل عليه اللفظ في محل النطق.
والمفهوم: ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق.
ومثاله : قوله تعالى: {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ}[3]
فإنه يدل نطقا على تحريم التأفيف، ويدل بمفهومه على تحريم الضرب.
ثم قسم الأصفهاني دلالة المنطوق إلى:
1- منطوق صريح: وهو ما وضع له اللفظ.

---

[1] انظر ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الخصائص،(100/3).

[2] محمود بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن علي العلامة شمس الدين أبو الثناء الأصفهاني ولد باصفهان في شعبان سنة أربع وتسعين وستمائة وقرأ على والده وعلى جمال الدين بن أبي الرجاء وغيرهما بالغ الفضلاء في الثناء عليه وأفاد الطلبة، كان ابن تيمية يبالغ في تعظيمه ، قال الإسنوي كان إماما بارعا في العقليات عارفا بالأصلين فقيها صحيح الاعتقاد محبا لأهل الخير والصلاح منقادا لهم مطرحا للتكلف مجموعا على العلم ونشره ، صنف التصانيف المشهورة المفيدة المحررة وانتشرت تلاميذه ولم يزل على ذلك إلى أن توفي ، توفي شهيدا بالطاعون في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وسبعمائة ودفن بالقرافة ومن تصانيفه شرح مختصر ابن الحاجب وشرح المنهاج للبيضاوي وغيرها. (ينظر ابن شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، طبقات الشافعية، (70/3-71)، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407هـ).

[3] الإسراء: 23.

2- وغير صريح: وهو ما يلزم عما وضع له اللفظ، كدلالة الاقتضاء، والتنبيه والإيماء، ودلالة الإشارة[1].

والذي يخص هذا البحث هي دلالة المفهوم، والدلالة اللفظية غير الصريحة، ولكنّ تطبيقاتها بحسب ما وضعها الأصفهاني تخصّ مبحث الفقه لا التفسير، وأيّاً كان فالدلالة المقصودة هنا هو ما لم يلفظ، بل دل عليه اللفظ، وفهم من معناه.

- وقال ابن القيم[2] في الدلالة " دلالة السياق":

"السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة.

وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته فانظر إلى قوله تعالى: {ذُقْ إِنَّكَ أنت الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}[3] كيف تجد سياقه يدل على أنّه الذليل الحقير."[4]

وفي هذا تنبيه إلى أهمية قراءة الآيات في نفس السياق، وعدم بتر الآية عن موضوعها، للتوصل للفهم الصحيح، والوصول إلى ما يدلّ عليه لفظ الآية في جو الآيات المحيطة بها.

فالدلالة لا تكون فقط بحثًا في اللفظ نفسه وما يدل عليه، بل هو بحث في سياق النص أيضًا وما يدل عليه.

ولقد كان من الصحابة رضوان الله عليهم من يفسر بطريقة الدلالة ويستنبط ما وراء ظاهر الآية من مدلولات، وذلك مثل :

---

[1] انظر الأصفهاني، شمس الدين محمود بن عبد الرحمن، أبو الثناء، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، (430/2-435)، تح. محمد مظهر بقا، دار المدني، السعودية، ط1، 1406هـ.

[2] مُحَمَّد بن أبي بكر بن أَيُّوب بن سعد بن حريز الزرعي الدِّمَشْقِي شمس الدّين ابْن قيم الجوزية الْحَنْبَلِيّ ولد سنة 691 وَسمع على التقي سُلَيْمَان وَأبي بكر بن عبد الدَّائِم والمطعم وَابْن تَيْمِية وغيرهم، وَله من التصانيف الْهَدْي وأعلام الموقعين وبدائع الْفَوَائِد وتصانيف أُخْرَى وكل تصانيفه مَرْغُوب فِيهَا بَين الطوائف، وَمَات فِي ثَالِث عشر شهر رَجَب سنة 751 وَكَانَت جنَازَته حافلة جدا.

(ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، (137/5)، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط2، 1392هـ)

[3] الدخان: 49.

[4] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، شمس الدين، بدائع الفوائد، (10/4)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ط.

(ما جاء عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يدني ابن عباس، فقال له عبد الرحمن بن عوف: إن لنا أبناء مثله، فقال: إنه من حيث تعلم، فسأل عمر ابن عباس عن هذه الآية، {إذا جاء نصر الله والفتح}[1] ، فقال: «أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه إياه» قال: ما أعلم منها إلا ما تعلم)[2].

وهذه الطريقة في التفسير أدنت ابن عباس رضي الله عنه وجعلته متفوقا على أقرانه.

ومن أمثلة ملء الفجوات بالدلالة:

• قول الله تعالى: (فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ)[3].

والفجوة هنا حذفت فعل المؤمنين، الذين التزموا الأمر ولم يشربوا من النهر، وذكرت الآية أن الذي جاوز النهر هم المؤمنون.

ووصف القوم بالمؤمنين في هذه الآية من بديع الإيجاز في القرآن الكريم، إذ أنّها جاءت دلالة على أنّ من لم يشرب من النهر إنّما منعه إيمانه وتقواه الله، وهو سبب لشجاعته وإقدامه، وهو ما سيق الكلام لتقريره[4].

• قول الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (36) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (38) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (39)[5].

---

[1] النصر:1.

[2] البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث: 3627، (204/4)، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

[3] البقرة: 249.

[4] ينظر رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم (المنار)، (387/2-388)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

[5] ابراهيم: 35-39.

وجاءت القصة هنا بفجوة ابتدائية، إذ حذف كل حدث قبل هذا الدعاء، وجاءت الآيات بمقطع من القصة يتحدث عن دعاء إبراهيم عليه السلام، ويستنتج ما كان قبل هذا الدعاء دلالة.

ففي هذه القصة نستنتج دلالة أنّ إبراهيم عليه السلام قد دعا بهذا الدعاء بعد بناء الكعبة، لأنّه عرف كلمة البلد ب(ال) التعريف ، ولهذا جاء في السياق (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ) ومعلوم أن إسماعيل أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة، فأمّا حين ذهب بإسماعيل وأمّه وهو رضيع إلى مكان مكة، فإنه دعا أيضاً فقال: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا }[1] [2]، وعدم تعريفه إشارة إلى أنّه لم يكن مبنياً آنذاك.
فالدلالة هنا دلالة لفظية (جاءت من تعريف كلمة بلد)، ودلالة سياقية، وهي قوله تعالى: (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق)، فملأت هذه الدلالة فجوة زمانية، لم تذكر في الآيات صراحة.

• قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: (قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (11) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (12) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (13) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (14) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15))[3].

قال ابن الأثير[4]: "الأمر من هذا الكلام محذوف تقديره (فأرسله معهم) ويدل على ذلك ما جاء به بعده من قوله تعالى (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ) "[5].

---

[1] البقرة: 126.

[2] انظر ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، (513/4).

[3] يوسف: 11-15.

[4] نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، أبو الفتح الكاتب، المعروف بابن الأثير، من أهل جزيرة ابن عمر، ولد بها في آخر شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وقرأ الأدب وعانى البلاغة والإنشاء حتى حاز قصب السبق في ذلك. وصنف مصنفات في الأدب، أهمها: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر.توفي في تاسع عشر ربيع الآخر الآخر سنة سبع وثلاثين وستمائة ، ودفن بمقابر قريش- رحمه الله.(ينظر الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، تاريخ بغداد وذيوله، (180/21)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ).

[5] ابن الأثير، نصر الله بن محمد، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ص129.

فملئت الفجوة هنا بدلالة السياق عليه.

• وكذلك قوله تعالى: (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (50) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52) [1] " ففي هذا الكلام حذف واختصار استغني عنه بدلالة الحال عليه وتقديره: فرجع الرسول الى الملك برسالة يوسف فدعا الملك بالنسوة وقال لهن ما خطبكن"[2].

وسمى ابن الأثير[3] الدلالة هنا دلالة الحال، وهي كدلالة السياق التي ذكرها ابن القيم[4] ، أي سياق القصة، أو حالها وما آلت إليه من مخاطبة الملك للنسوة والتي تستوجب رجوع الرسول إلى الملك وإخباره بما قال يوسف عليه السلام.

• قوله تعالى: (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (42))[5].
وفي الآية فجوة زمانية مقدارها بضع سنين، لم يذكر ما كان من حال يوسف عليه السلام فيها، إلا أن القرينة المعنوية – والمستنتجة من سياق الحوارات التي دارت بين يوسف عليه السلام وأصحابه في السجن– تكشف أنه عليه السلام كان في دعوة إلى الله وذكر له، على غرار ما كان منه قبل هذه السنين[6].
فالدلالة هنا هي دلالة السياق، أو دلالة الحال كما سبق.

---

[1] يوسف: 50–52.

[2] ابن الأثير، نصر الله بن محمد، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ص129.

[3] سبق

[4] سبق.

[5] يوسف:42.

[6] انظر سطوف، عزوز، بلاغة مقام القص القرآني سورة يوسف أنموذجا ، ص126.

• قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (21)[1].

ويدل سياق القصة وخاتمتها على محذوفها، من إيمان أهل المدينة بعد الشرك، ثم عثورهم على الفتية، من خلال من ذهب منهم إلى السوق، ثم وفاتهم لأجلهم، ليكرمهم أهل المدينة بعدها ويبنون عليهم مسجدًا.[2] .

فالدلالة هنا أيضا هي دلالة السياق.

• قول الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: (وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (70)[3].

وحذف من الأحداث كيف أن موسى عليه السلام قد ألقى عصاه فتلقفت ما صنع السحرة فآمنوا، ودل على هذا الحذف ما جاء من ظاهر القول بعدها (فألقي السحرة سجدا)[4].

مسألة: في حدود كل من القارئ والمفسر في البحث عن دلالة الآيات:

إنّ الأمثلة السابقة، وغيرها الكثير، تدلّ على اجتهاد علماء التفسير في البحث عن دلالات الآيات، ومحاولة ملء الفجوات، للحصول على قصة متكاملة الأحداث واضحة الأزمان مما يدل عليه النص ذاته، ولا يمنع هذا أن يكون لقارئ القرآن اجتهاده في البحث عن هذه الدلالات، بل إنّ مشاركة القارئ في البحث عما وراء النص، والتعمق في فهم الآيات لمن مقاصد وجود هذه الفجوات في القرآن، فيدفع بهذا الملل، ويعمل العقل، ويكون جزءًا من القصة التي يتخيلها بعقله ويسرح في تفاصيلها، بما يدلّ عليه النصّ، وبما يملك من ملكات لغوية وشرعية، ولا يتجاوز حدوده في هذا، لأنّ القرآن كلام الله تعالى، فلا يجتهد فيه بالرأي، إلا بما يدل عليه النصّ[5].

---

[1] الكهف: 21.

[2] ينظر الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، (219–220)، دار العلم للملايين، ط24، 2000م.

[3] طه: 69–70.

[4] ينظر ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (52/4).

[5] ينظر الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص351 (بتصرف).

قال الزركشي[1] في القسم الرابع من أقسام التفسير: " ما يرجع إلى اجتهاد العلماء وهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل وهو صرف اللفظ إلى ما يئول إليه فالمفسر ناقل والمؤول مستنبط وذلك استنباط الأحكام وبيان المجمل وتخصيص العموم، وكل لفظ احتمل معنيين فصاعدًا فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه وعلى العلماء اعتماد الشواهد والدلائل وليس لهم أن يعتمدوا مجرد رأيهم فيه"[2] .

وقد نبّه ابن تيمية[3] رحمه الله لخطئين وقعا في تفسير ما يعلم بالدّلالة:

الأول: اعتقاد معنى ثمّ إرادة حمل ألفاظ القرآن عليه.

والثاني: تفسير القرآن بما تدل عليه اللغة العربية دون النظر إلى المتكلم بالقرآن، والمنزل عليه والمخاطب به.

وفيهما من الخطأ ما يحمل القرآن من المعاني غير ما يحتمل، والاستدلال بآيات القرآن على غير ما أراد الله تعالى منها، وبما ينافي سياق الآيات أحيانًا، وكلّه مناف لأصول التفسير الصحيحة[4].

والخلاصة من هذا: أنه لا يجوز الاجتهاد في دلالات الآيات على معانيها إلا لمجتهد يراعي اللغة، وسياق الآيات، والمتكلم بالقرآن، والمخاطب به، دون تحميل للألفاظ ما لا تحتمل من المعاني ولو كانت هذه المعاني صحيحة في ذاتها.

وأمّا دور غير المجتهد في فهم الدلالة فيقتصر على التأمّل والتدبّر ومحاولة فهم القرآن بما جاء منه في مواضع أخرى– فإن من الدلالات ما يتوصل لفهمها بذلك– والرجوع لأهل العلم، فيما لا علم له به، دون الاجتهاد فيما لا يعلم.

---

[1] محمد بن عبد الله بن بهادر، الإمام العالم العلامة المصنف المحرر بدر الدين أبو عبد الله المصري الزركشيّ الشافعي، مولده سنة خمس وأربعين وسبعمائة، أخذ عن الإسنويّ، ومغلطاي، وابن كثير والأذرعيّ، والسراج البلقينيّ. وكان فقيها أصوليا مفسّرا أديبا فاضلا في جميع ذلك،وله تصانيف كثيرة في عدّة فنون، منها «الخادم على الرافعي والرّوضة» وشرح «المنهاج»، و «الديباج»، و «البرهان في علوم القرآن»، و «القواعد في الفقه»، و غيرها. توفي يوم الأحد ثالث شهر رجب سنة أربع وتسعين وسبعمائة، ودفن بالقرافة الصغرى. (ينظر الداوودي، محمد بن علي بن أحمد، طبقات المفسرين، (163/2)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط).

[2] الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، (166/2).

[3] سبق.

[4] ينظر ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير، ص33–34.(بتصرف)

المبحث الثاني:

ملء الفراغ بالرواية:

والتفسير بالرواية ثلاثة أنواع:

إمّا أن يرد عن النبي صلى الله عيه وسلم أو عن الصحابة أو عن رؤوس التابعين

فما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: يبحث فيه عن صحة السند.

وما ورد عن الصحابة: ينظر في تفسير الصحابي، فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتمادهم، وإن فسره بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه.

وما ورد عن رؤوس التابعين إذا لم يرفعوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا إلى أحد من الصحابة رضي الله عنهم فحيث جاز التقليد فيما سبق فكذا هنا وإلا وجب الاجتهاد[1].

وقد ورد التشديد على القول في القرآن بغير علم، وأما ما روي عن التابعين من أقوال في التفسير فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن وفسروه بغير علم أو من قبل أنفسهم. وقد روي عنهم ما يدل على أنهم لم يقولوا من قبل أنفسهم بغير علم. فمن قال في القرآن برأيه فقد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به. فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ؛ لأنه لم يأت الأمر من بابه[2].

المطلب الأول: النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو أفضل النقل، ولكن يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع فإنه كثير، وغالبه ليس له أسانيد صحاح متصلة، وإلا فقد صح من ذلك كثير[3].

ومن أمثلته:

• في تفسير قول الله تعالى: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (84)[4].

---

[1] انظر الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، (172/2).

[2] ينظر ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير، ص46-47.

[3] ينظر الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، (156/2).

[4] الأنبياء:83-84.

وهنا جاءت الفجوة تحذف من الأحداث ما جاء تفصيله في حديث النبي صلى الله عليه وسلم.
فعن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «بينما أيوب يغتسل عريانًا، خرّ عليه رجل[1] جراد من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه، فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عمّا ترى، قال بلى يا رب، ولكن لا غنى لي عن بركتك»[2].

المطلب الثاني: النقل عن الصحابة

وتفسيره من باب الرواية لا الرأي فهو بمثابة المرفوع[3].
قال ابن الصلاح: "ما قِيلَ مِنْ أنَّ تفسيرَ الصحابيِّ حديثٌ مسندٌ فإنَّما ذلكَ في تفسيرٍ يتعلَّقُ بسببِ نزولِ آيةٍ يُخبرُ بهِ الصحابيُّ أو نحوِ ذلكَ"[4].
وقال الحاكم: "ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسند"[5]
قال الزركشي: والتحقيق أن يقال إن كان ذلك التفسير مما لا مجال للاجتهاد فيه فهو في حكم المرفوع وإن كان يمكن أن يدخله الاجتهاد فلا يحكم عليه بالرفع"[6]
وقال ابن حجر: "والحق أن ضابط ما يفسره الصحابي إن كان مما لا مجال للاجتهاد فيه ولا منقولاً عن لسان العرب فحكمه الرفع وإلا فلا. كالإخبار عن الأمور الماضية، وعن الأمور الآتية، والإخبار عن عمل له ثواب مخصوص أو عقاب"[7].

---

[1] رِجْل من جَراد الرِجْل: الْجَمَاعَة الْكَثِيرَة من الْجَرَاد خَاصَّة وَهَذَا جمع على غير لفظ الواحد. (ابن سلام، أبو عبيد القاسم، غريب الحديث، تح. محمد خان، (222/4)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط1، 1384 هـ.

[2] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تح. محمد زهير بن ناصر الناصر، باب قول الله تعالى:(وايوب إذ نادى ربه)، رقم الحديث: 3391، (151/4)، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

[3] ينظر الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن ، (157/2).

[4] ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، معرفة أنواع علوم الحديث، ص124، دار الكتب العلمية، ط1، 1423هـ.

[5] الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، (283/2)، تح. مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ.

[6] الزركشي، محمد بن عبد الله، النكت على مقمة ابن الصلاح، (435/1)، أضواء السلف، الرياض، ط1419،1هـ.

[7] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، النكت على كتاب ابن الصلاح، (86/1)، عمادة البحث العلمي في الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة، ط1، 1404هـ.

فنستخلص إذن أن ما نقل عن الصحابة رضي الله عنهم في ملئ فجوات القصة القرآنية له حكم الرفع، لأنه لا مجال للاجتهاد فيه، فهو إخبار أمور ماضية، لا يحدث عنها إلا بخبر.

ومن أمثلة ما ورد عن الصحابة:

• ما ورد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37)﴾[1].

"قال ابن عباس: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقا لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة، فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جرابا فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقا، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارا، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟ قال نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الكلمات، ورفع يديه فقال: رب { إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ [إبراهيم: 37]- حتى بلغ - {يشكرون} [إبراهيم: 37] "[2].

وقد ملأ حديثه فجوة ابتدائية من هذه القصة العظيمة، وما نقل عنه رضي الله عنه يعتبر من باب المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم لصحة سنده وجزمه بقوله، وهو مما لا يجتهد فيه.

المطلب الثالث: النقل عن التابعين

وقد يكون تفسير التابعي نقلاً عن الصحابة رضي الله عنهم، وقد يكون استنباطاً واستدلالاً بما عندهم من مقومات التفسير، وقد يكون نقلاً عن أهل الكتاب، ويرجع قبولنا لرواياتهم بالنظر لهم كمفسرين، وعمن نقلوا، وهل اختلفوا في رواياتهم أو اتفقوا.

---

[1] إبراهيم: 37.

[2] البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، تح. محمد زهير بن ناصر الناصر، رقم الحديث: 3364، (142/4)، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، كما قال مجاهد[1]: عرضت المصحف على ابن عباس أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها؛ ولهذا تلقاه المفسرون والأئمة من أهل العلم بالقبول ورووا عنه أكثر من غيره [2].

وإن كانوا قد يتكلمون في بعض الآيات بالاستنباط والاستدلال.[3]، فإذا اختلفت أقوالهم لم تكن حجة، فربما نقلوها عن أهل الكتاب[4].

ومثال ما جاء عن التابعين:

- في قوله تعالى: (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ)[5]

قال قتادة[6]: لم تأت يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار، إلا الوزغ.

---

[1] مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج المخزومي المقري مولى السائب بن أبي السائب. روى عن علي وسعد بن أبي وقاص والعبادلة الأربعة وغيرهم، روى عنه أيوب السختياني وعطاء وعكرمة وغيرهم، وقال عبد السلام بن حرب عن مصعب كان أعلمهم بالتفسير مجاهد، وعن مجاهد قال قرأت القرآن على بن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت وكيف كانت، قال الهيثم بن عدي مات سنة مائة وقال يحيى بن بكير مات سنة إحدى وهو بن ثلاث وثمانين سنة وقال أبو نعيم مات سنة اثنتين وقال سعيد بن عفير وأحمد مات سنة ثلاث وقال بن حبان مات بمكة سنة اثنتين أو ثلاث ومائة وهو ساجد وكان مولده سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر. (ينظر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، تهذيب التهذيب، (42/10-43)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1326هـ).

[2] ينظر ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير، ص10.

[3] ينظر نفس المصدر، ص11.

[4] ينظر نفس المصدر، ص22.

[5] الأنبياء: 69.

[6] قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السّدوسيّ، الحافظ العلامة، أبو الخطاب البصري، الضرير الأكمه المفسّر. رأس الطبقة الرابعة، أَخذ الْقُرْآن ومعانيه وروى عَن أنس بن مَالك وَعَن غَيرهم، روى «تفسيره» عنه شيبان بن عبد الرحمن التميمي مولاهم النحوي أبو معاوية البصري. حدث عن عبد الله بن سرجس، ومعاذ، وخلق، وعنه مسعر، وابن أبي عروبة، وشيبان، وشعبة، ومعمر. وأبان بن

يزيد وأبو عوانة، وحماد بن سلمة وأمم سواهم. قال الإمام أحمد بن حنبل: قتادة عالم بالتفسير وباختلاف العلماء، ووصفه بالفقه والحفظ، وأطنب في ذكره، وقال: قلّ أن تجد من يتقدمه. مات بواسط في الطاعون سنة ثماني عشرة ومائة وقيل سنة سبع عشرة، وله سبع وخمسون سنة، أخرج له الجماعة. (ينظر الداوودي، محمد بن علي بن أحمد، طبقات المفسرين، (47/2-48)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط) (وينظر الأدنه وي، أحمد بن محمد، طبقات المفسرين، تح. سليمان الخزي، ص 14، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط1، 1417هـ).

وقال الزهري[1]: أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله، وسماه فويسقاً.[2]

وتفسيرهما موافق لما رفع للنبي صلى الله عليه وسلم:

فعن أم شريك[3] «أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أمرها بقتل الأوزاغ»[4].

وعن عائشة رضي الله عنها، – زوج النبي صلى الله عليه وسلم – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال للوزغ: «فويسق»[5].

وعن أم شريك رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، " أمر بقتل الوزغ، وقال: كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام "[6].

وهذه الأحاديث المرفوعة تعاضد قوليهما في التفسير، فكلامهما معتمد هنا لأنه يكون نقلاً عمن سمع من النبي صلى الله عليه وسلم.

---

[1] الزهري، واسمه محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله الأصغر بن شهاب ابن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة وأمه عائشة بنت عبد الله الأكبر بن شهاب، ويكنى أبا بكر. أخذ عن سعيد بن المسيب و جالس عروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام حتى فقه، وعن مالك بن أنس يقول: "ما أدركت بالمدينة فقيها محدثا غير ابن شهاب الزهري، قال محمد بن عمر: "ولد الزهري سنة ثمان وخمسين في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان وهي السنة التي ماتت فيها عائشة زوج النبي صلىالله عليه وسلم، وكان الزهري قد قدم في سنة أربع وعشرين ومائة إلى أمواله بثلية بشغب وبدا فأقام فيها فمرض هناك فمات، فأوصى أن يدفن على قارعة الطريق ومات لسبع عشرة ليلة من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائة4 وهو ابن خمس وسبعين سنة. (ينظر ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، تح. زياد منصور، ص158–185 ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط2، 1408هـ)

[2] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تح. أحمد محمد شاكر، (467/18)، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ.

[3] أم شريك العامرية قيل: اسمها غزيلة، روى عنها: جابر، وسعيد بن المسيب، وقيل: إنها إحدى نساء الأنصار، من بني النجار، وقيل هي احى النساء التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم. (ينظر أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، معرفة الصحابة، (3517/6)، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1419 هـ) و(ينظر القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفةالاصحاب، (1888/4)، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412).

[4] البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، تح. محمد زهير بن ناصر الناصر، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، رقم الحديث: 3307، (128/4)، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

[5] البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، تح. محمد زهير بن ناصر الناصر، باب ما يقتل المحرم من الدواب، رقم الحديث: 1831، (14/3)، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

[6] البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، تح. محمد زهير بن ناصر الناصر، باب قول الله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلا، رقم الحديث: 3359، (141/4)، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

المطلب الرابع: الإسرائيليات، وما لا يعلم أصله

والإسرائيليات: هي "الروايات والأقوال والأخبار المتعلقة بالسابقين والتي لم ترد في القرآن والحديث الصحيح، وإنما أخذت من كتب السابقين وأقوال أهل الكتاب"[1].

وقصص القرآن الكريم تشابه قصص أهل الكتاب، غير أنّ القرآن قد اتخذ منهج الإيجاز وعدم التطويل، فلا يذكر من القصة إلا ما جاء بالعبرة والعظة، وما وافق الأحداث والسياق، ولأجل ذلك مال كثير من الناس يستقصون ما ورد عن أهل الكتاب من تفاصيل القصص، وقد روى بعض الصحابة كذلك عمن دخل الإسلام منهم كعبد الله بن سلام[2]، وكعب الأحبار[3]، وغيرهم، مما لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه شي[4].

وفي الرواية عن أهل الكتاب أحاديث صحيحة، بعضها أباح الرواية عنهم وبعضها نهانا عن تصديقهم أو تكذيبهم:

---

[1] الخالدي، صلاح، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، (43/1).

[2] أبو يوسف عبد الله بن سلام بن الحارث بن قينقاع ، حليف القواقلة من الخزرج.قال محمد بن سعد: أبو يوسف عبد الله بن سلام وكان اسمه الحصين فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وهو من بني إسرائيل من ولد يوسف بن يعقوب وهو حليف القواقلة وله إسلام قديم بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وتوفي بالمدينة. عن مجاهد قال: وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله قال: اسمه عبد الله بن سلام. وعن محمد بن عبد الله الأسدي وقبيصة بن عقبة قالا: أخبرنا سفيان عن عمرو بن قيس عن عطية في قوله تعالى: «أن يعلمه علماء بني إسرائيل» قال: كانوا خمسة منهم عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة بن قيس وأسد وأسيد.

(ينظر البغوي، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور، معجم الصحابة، تح. محمد الامين، (102/4)، مكتبة دار البيان، الكويت، ط1، 1421هـ) و(ينظر ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي، الطبقات الكبرى، تح. محمد عبد القادر، (269/2)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ).

[3] كعب الأحبار بن ماتع،ويكنى أبا إسحاق وهو من حمير من آل ذي رعين. وكان على دين يهود فأسلم وقدم المدينة ثم خرج إلى الشام فسكن حمص حتى توفي بها سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان. وعن قتادة أن كعبا أسلم في إمرة عمر. قال: وذكر أبو الدرداء كعبا فقال: إن عند ابن الحميرية لعلما كثيرا. (ينظر ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي، الطبقات الكبرى، تح. محمد عبد القادر، (309/7-310)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ)

[4] ينظر الذهبي، محمد السيد حسين، التفسير والمفسرون، (48/1)، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ط.

• عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: {آمنا بالله وما أنزل إلينا}[1] الآية[2].

• وعن عبد الله بن عمرو، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا، فليتبوأ مقعده من النار»[3].

• وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: " يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله، تقرءونه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم، ولا والله ما رأينا منهم رجلا قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم "[4] و لنا في فهم ابن عباس رضي الله عنه عبرة.

---

[1] البقرة:136.

[2] البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، تح. محمد زهير بن ناصر الناصر، باب : قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا، رقم الحديث: 4485، (20/6)، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

[3] البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، تح. محمد زهير بن ناصر الناصر، باب : ما ذكر عن بني اسرائيل، رقم الحديث: 3461، (170/4)، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

[4] البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، تح. محمد زهير بن ناصر الناصر، باب : لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها، رقم الحديث: 2685، (181/3)، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

وفي فهم هذه الأحاديث قال أهل العلم:

لا يجوز تصديق أهل الكتاب ولا تكذيبهم إلا بحجة، فما وافق القرآن والسنة أخذ به وما علم كذبه أو مخالفته للقرآن أو السنة ردّ، واختاره مالك[1] والشافعي[2]، وابن حجر **Error! Bookmark not defined.**[3]، وابن تيمية رحمهم الله. [4]

فالأحاديث الإسرائيلية على ثلاثة أقسام: [5]

- ما علمت صحته لموافقته القرآن والسنة، فيؤخذ به.

---

[1] مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي–من ذي أصبح بطن من حمير– أبو عبد الله الإمام المشهور إمام دار الهجرة.

ولد سنة ثلاث–أو أربع أو خمس–وتسعين ، وسمع من نافع، والزهري، وهشام بن عروة، وغيرهم من كبار التابعين. وروى عنه عبد الله بن المبارك، وعبد الرحمن بن مهدي، ومعن بن عيسى القعنبي، وخلق من الأئمة، قال النسائي ما عندي بعد التابعين أنبل من مالك ولا أجل منه ولا أوثق ولا آمن على الحديث منه ولا أقل رواية عن الضعفاء ما علمناه حدث عن متروك إلا عبد الكريم وقال بن حبان في الثقات كان مالك أول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة وأعرض عمن ليس بثقة في الحديث ولم يكن يروي إلا ما صح ولا يحدث إلا عن ثقة مع الفقه والدين والفضل والنسك، وتوفي رحمه الله تعالى بالمدينة سنة تسع وسبعين ومائة، ودفن بالبقيع (ينظر بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، (250/2–251)، دار المنهاج، جدة، ط1، 1428هـ) و(العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، تهذيب التهذيب، (9/10)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1326هـ).

[2] أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي، الإمام الشافعي المشهور، يجتمع مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم في عبد مناف رابع أب لرسول الله صلّى الله عليه وسلم، وهو عاشر أب للشافعي رضي الله عنه. اجتمع فيه من العلوم بكتاب الله تعالى، وسنة رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وكلام الصحابة وآثارهم، واختلاف أقاويل العلماء، وكلام العرب من النحو واللغة والشعر وغير ذلك .. ما لم يجتمع في غيره، واستنبط علوما لم يسبق إليها، كعلم أصول الفقه، روى عن مسلم بن خالد الزنجي ومالك بن أنس وإبراهيم بن سعد وغيرهم كثير، وعنه سليمان بن داود الهاشمي وأبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي وإبراهيم بن المنذر الحزامي وأبو ثور إبراهيم بن خالد وأحمد بن حنبل وغيرهم، ولد الشافعي في سنة 150 ومات في آخر يوم من رجب سنة 204 وفيها أرخه غير واحد.

(ينظر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، تهذيب التهذيب، (28/9)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1326هـ)و(ينظر بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، (376/2–377)، دار المنهاج، جدة، ط1، 1428هـ).

[3] ينظر ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تح. محب الدين الخطيب، (499/6)، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.

[4] ينظرابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير، ص21.

[5] ينظر ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، (366/13)، مجمع الملك فهد، السعودية، 1416هـ.

- وما علم كذبه لمخالفة القرآن والسنة، فيُردّ.
- وما هو مسكوت عنه في ديننا، فتجوز روايته للأحاديث المتقدمة، ولكنه يُروى للاستشهاد لا للاعتقاد.

هذا وإن الله سبحانه قد أغنانا بالقرآن عن سؤال أهل الكتاب، ولا يعنينا ما جاءت به كتبهم، حتى لو كان التحديث بها مباحاً فيما يوافق ديننا، ولفجوات القصة القرآنية حكم وأغراض دينية وفنية، لا تؤدى إلا بهذا الحذف، ولو كانت هذه الحلقات المحذوفة من القصة ذات أهمية لأدّاها القرآن الكريم أو وردت في أحاديث نبوية صحيحة، وإقحام مثل هذه الروايات الإسرائيلية يفقد النّصّ بهجته ويفقد الحذف معناه، وتركها أولى من روايتها، لا سيما أن كثيراً منها يخالف القرآن والسنة.

وكذلك ما لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه، أو الروايات التي ليس لها أصل، فعامّتها مما لا فائدة فيه، ولا حاجة لنا بمعرفته، لأن هذه الأمور طريق العلم بها النقل فما كان منه منقولًا نقلاً صحيحاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل، وما لا ، بأن نقل عن أهل الكتاب، أو غيرهم مما لا يعرف أصله، وقف عن تصديقه وتكذيبه.

الخاتمة

الحمد لله الذي بيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، أحمده على فضله وجزيل عطائه، وأشكره على ما يسر لي من إتمام هذا البحث، وأصلي وأسلم على خاتم رسله محمد بن عبد الله وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

ففي ختام هذا البحث، والموسوم ب: (الفجوات الفنية في القصة القرآنية)، أذكر **أهم النتائج** التي انتهيت إليها فيما يلي:

أولا: أن مصطلح الفجوة الفنية مصطلح حديث، ظهر في كتب سيد قطب وعبد الكريم الخطيب ومن بعدهم، إلا أنه في محتواه قديم قدم تفسير القرآن الكريم، وقد يخيل للبعض عند سماعه أنه انتقاص من شأن سرد القصة في القرآن، والحقيقة بعكس ذلك، إذ أن هذه الفجوات حذف في بعض الحلقات من القصة القرآنية قصدا، ولأهداف فنية أو دينية، لا لغفلة أو جهل أو نقص، فتؤدي غرضا في النص لا يقوم مقامها ذكر هذه الحلقات، وهذا ما يسمى بالفجوات الفنية في القرآن الكريم، فهي وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم وبلاغته، لا العكس.

ثانيا: تؤدي الفجوات الفنية أغراضا فنية وأخرى دينية في النص القرآني الجليل، فتزيد من روعة بيانه، وجمال أسلوبه، وبلاغة معناه، وتتداخل الأغراض الفنية مع الأغراض الدينية في الفجوة الواحدة، إذ أن الغرض الفني ينقل الفكرة الدينية ببلاغة فائقة وأسلوب شفاف، فتصل الفكرة كأحسن ما يمكن أن تصل.

ثالثا: من الأغراض الفنية في القصة القرآنية : الإيجاز، وهو أكثر ما تكلم به علماء التفسير والبلاغة، وعزوا إليه السبب في وجود الفجوات الفنية في القصص القرآني، وهو أسلوب بليغ، إلا أنه ليس السبب الوحيد في وجود الفجوات، بل يشترك مع غيره من الأسباب، كإثارة الخواطر وحفز حاسة التأويل لدى المتلقي، وإحياء مشاهد القصة، حتى يخيل للمتلقي كأنه ناظر حاضر في المشهد لا مجرد قارئ له، وإثارة عنصر المفاجأة لديه بحذف بعض الأحداث تحضيرا لعنصر المفاجأة، كما أن بعض الأحداث تحذف فتبين ما في مكنونات النفس لدى شخصيات القصة، كاللهفة في إيصال خبر أو فكرة، فتحذف بعض المشاهد كأنما ضاق المقام عن ذكرها للهفة الوصول إلى الخبر أو الفكرة المرادة.

رابعا: من الأغراض الدينية للفجوات الفنية في القصة القرآنية: تناسق الفكرة، أو المشهد المذكور من القصة في موضع معين، مع سياق السورة والآيات في ذلك الموقع، ولذا لا تذكر نفس المشاهد أو المقاطع من القصة في المواضع المختلفة من القرآن الكريم، بل تقسم القصة أحداثا على السور والمواضع بحسب تأديتها للغرض الديني في السياق.

وقد يقطع التسلسل السردي للقصة القرآنية للتعليق على الحدث، والإشارة إلى العبرة منه والاسترسال فيها، إذ يكون الاسترسال هناك أهم من التتابع في سرد القصة.

ومن الأغراض الدينية أيضا:

–تعظيم بعض الأحداث أو تحقيرها، وهو من مقاصد الحذف عند العرب.

– عدم تشتيت السامع، بذكر كم هائل من الأحداث الجانبية، والتفاصيل السردية، مما يقطع الفكرة الأساسية لسياق الآيات.

– بيان السرعة، كسرعة الاستجابة لأمر الله، أو سرعة الجزاء بالخير أو الشر، أو سرعة تكذيب الأقوام دون تفكر وتدبر، أو سرعة الفرج.

– بيان حتمية نفاذ القدرة الإلهية، وتحقق وقوعها.

– رعاية مقام النبوة.

– بيان شدة عجز الآلهة.

خامسا: قد تنشأ الفجوة تأثرا بعنصر الزمان في القصة فتنتقل أحداثها بالقارئ من زمن إلى زمن وفي نفس مكان الحدث، دون فواصل أو ذكر للمدة الزمنية المقطوعة، وقد تنشأ متأثرة بعنصري الزمان والمكان معا، فتنتقل الأحداث بالقارئ إلى زمان ومكان مختلفين عما كان يتحدث عنهما السياق، بسلاسة ويسر وبلاغة محققة لأغراض الفجوة.

سادسا: يوجد فجوات في القصة القرآنية طويلة وأخرى قصيرة، ومنها فجوات ابتدائية (تحذف الأحداث فيها من بداية القصة)، كمعظم قصص الأنبياء، والتي ابتدأت بحدث بعثة النبي، وفجوات أخرى متوسطة وختامية، وكلها تخدم السياق، وتدعم تناسق الأحداث المذكورة مع ما يقابلها من أفكار في السورة.

سابعا: تملأ الفجوات في القصة القرآنية بالقرآن والسنة وما روي عن الصحابة والتابعين، وأهل الكتاب بما يوافق القرآن والسنة، ويمكن للمجتهد أن يجتهد في تفسير دلالات الآيات بما يتوافق مع لغة العرب، وسياق الآيات، ومراعاة المتكلم بالقرآن عز وجل والمخاطب به، ولا يجوز لأحد أن يتكلم فيها بغير علم، أو بحكم مسبق، فإنه اجتراء على الله تعالى.

التوصيات:

من خلال بحثي في هذا الموضوع، أوصي:

1- أوصي الباحثين في المجال الأدبي، والنظم في اللغة، إيلاء القصة القرآنية جهدا أكبر من البحث، ففيها من الأغوار الكثير مما لم يتعرض له، أو عرض بشكل منقوص، يهضم حقها في إبراز بلاغة نظمها وأسلوبها.

2- أوصي الباحثين في المجال الأدبي، وكذلك في التفسير، بدراسة النظريات الأدبية الحديثة، كنظرية التلقي، ونظرية السياق، وكل ما يتعلق بالمخاطب والمتكلم، ومدى توافقها مع الطريقة الصحيحة في تفسير القرآن الكريم، ومحاولة ملء الفجوات الفنية في القصة القرآنية.

3- أوصي مدرسي القصة القرآنية، بالتركيز على طريقة سردها، وبلاغة أسلوبها، بما تضمنته من حذف، دون التركيز على تفاصيل أحداثها التي لم تذكر، فإنها لم تذكر لأسباب بلاغية ودينية، ودراسة الحذف وأسبابه أولى وأقرب لمقاصد القصة في القرآن الكريم.

فهرس الآيات الكريمة

اسم السورة	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
البقرة	وإذ قال إبراهيم	260	5
	فشربوا منه الا قليلا	249	86
	آمنا بالله وما أنزل	136	87
	رب اجعل هذا	126	87
	وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ	93	82
	وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا	73-72	39
	وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى	60	54
	قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْها	38	3
آل عمران	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ	71 _70	51
	وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ	55-54	44
	قَالَتْ رَبِّ أَنَّى	52-47	55
المائدة	يا قوم ادخلوا	21	9
	فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا	32_31	11
الأنعام	فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا	44	33
الأعراف	فاقصص القصص	176	3
	قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ	126-121	71
	وَجَاوَزْنَا بِبَنِي	138	51
	قَالَ فِرْعَوْنُ	126-123	42
	وَجَاءَ السَّحَرَةُ	115-113	33
	قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ	78-75	79
	قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ	25-24	72
يوسف	لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ	111	2
	اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا	94-93	63
	يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا	88-87	63
	وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ	82	85
	ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ	83-81	62
	وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا	63-62	62
	وَقالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي	52 . 50	20
	قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ	50-47	20

	وَقَالَ الَّذِي نَجَا	46-45	33
	وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ	42	60
	وقال الذي اشتراه	23 -21	8
	وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ	20	37
	وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا	19	37
	قال بل سولت	18	8
	وجاءوا أباهم عشاء	16	8
	فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ	16-15	19
	قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي	15-13	19
	قَالُوا يَا أَبَانَا	15-11	87
	قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ	11-10	23
	نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ	3	1
إبراهيم	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ	39-35	86
	رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ	37	80
الحجر	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ	31-28	48
الإسراء	فَلَا تَقُلْ لَهُمَا	23	84
	سبحان الذي أسرى	1	8
الكهف	فارتدا على آثارهما	64	1
	أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا	42-41	28
	وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ	21	25
	وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ	20 _ 19	25
	وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا	19 -18	24
مريم	فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا	24	47
	فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ	24-22	27
	وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ	21-16	48
طه	قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ	76-72	43
	وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ	70-69	89
	قَالُوا يَا مُوسَى	70-65	54
	قالُوا إِنْ هَذَانِ	65-63	24
	قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا	65-57	20
	قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا	56_49	37
	إذ تمشي أختك	40	80
	وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ	39-37	67
الأنبياء	وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ	87	56

	وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى	84-83	91
	قُلْنَا يَا نَارُ	70-69	44
	قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا	69-68	44
	وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ	58-57	58
	وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ	69-51	23
الفرقان	وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى	36-35	49
	الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى	34	49
الشعراء	وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ	95-86	41
	فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ	66-61	55
	إن هؤلاء لشرذمة	54	6
	فألقي السحرة ساجدين	51-46	72
	فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ	18-16	23
النمل	قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ	42-38	23
	قالَ الَّذِي عِنْدَهُ	40	76
	قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ	30-29	31
	اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا	29-28	20
	إني وجدت	28-23	31
	وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ	16-15	36
	وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ	6	36
القصص	إِنَّ قَارُونَ كَانَ	76	5
	أولم نمكن لهم	57	80
	ولما بلغ أشده	14	5
	وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ	13-12	55
	وقالت لأخته قصيه	11	1
	وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى	7	68
	طسم (1) تِلْكَ آيَاتُ	5-1	68
العنكبوت	أولم يروا أنا جعلنا	67	80
	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا	14	19
فاطر	إِنْ تَدْعُوهُمْ لا	14	83
يس	إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا	82	24
	وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا	83-78	38
	وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى	27-20	50

الصافات	وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ	148-139	20
	ولقد نادانا نوح	75	12
ص	وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ	33-30	36
	ص وَالْقُرْآنِ ذِي	1	35
غافر	فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ	46_44	64
فصلت	لا يأتيه الباطل	42	6
الدخان	ذُقْ إِنَّكَ أنت	49	85
	فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ	29-22	39
الأحقاف	وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ	25-21	59
الذاريات	فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً	30-28	47
	هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ	46-24	46
	وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ	23-22	47
	قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ	10	46
القمر	كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ	33	35
	كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ	23	35
	كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ	18	35
	كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ	14-9	35
	اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ	5-1	35
الحشر	فَأَتاهُمُ اللهُ مِنْ	2	82
الصف	وَإِذْ قَالَ عِيسَى	6	73
الحاقة	فإذا نفخ في الصور	15-13	68
	وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ	15-9	68
	كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ	6-4	68
الإنسان	إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ	13-9	49
النازعات	فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ	26-24	48
الشمس	كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا	14-11	79
النصر	إذا جاء نصر	1	85

فهرس الأحاديث النبوية

أمر بقتل الوزغ 94
أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرها بقتل الأوزاغ 94
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال للوزغ: «فويسق» 94
أول ما اتخذ النساء المنطق 92
بلغوا عني ولو آية 96
بينما أيوب يغتسل عريانا.....91
كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يدني ابن عباس 84
لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم.....96

فهرس الأعلام

ابن الأثير ..... 14، 92، 93
ابن الشجري..... 87
ابن القيم ..... 90، 93
ابن تيمية ..... 82، 95، 103
ابن جني..... 88
ابن حجر ..... 97، 103
ابن كثير 85
الجاحظ..... 19، 87
الجرجاني 15
الخطابي ..... 19، 87
الخطيب القزويني..... 15
الخفاجي 16
الرماني ..... 38، 42، 49
الزركشي..... 94، 97
الزهري..... 100
الشافعي..... 103
النابغة 87
أم شريك 100
سيد قطب..... 10، 14
شمس الدين الأصفهاني..... 89
عبد الكريم الخطيب..... 10، 14
عبد الله بن سلام 101
قتادة99
كعب الأحبار ..... 91، 101
مجاهد 99

ثبت المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. ابن الأثير الجزري، علي بن أبي الكرم محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ.
3. ابن الأثير، نصر الله بن محمد، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تح. مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، 1375هـ.
4. ابن الأثير، نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1420هـ.
5. ابن الشجري، هبة الله بن علي، أمالي ابن الشجري، تح. محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1413هـ.
6. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1980م.
7. ابن جني، عثمان بن جني الموصلي، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.
8. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد، الإصابة في تمييز الصحابة، تح. عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ).
9. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط2، 1392هـ.
10. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تح. محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
11. ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1900م.
12. ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي، جمهرة اللغة، تح. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م.
13. ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تح. محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ
14. ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، تح. زياد منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط2، 1408هـ.

15. ابن سلام، أبو عبيد القاسم، غريب الحديث، تح. محمد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط1، 1384 هـ.
16. ابن شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، طبقات الشافعية، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407هـ.
17. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
18. ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ دمشق، دار الفكر للطباة والنشر والتوزيع، ط1415هـ.
19. ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
20. ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح. عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، 1399هـ.
21. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ط.
22. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تح. سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ.
23. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
24. أبو أروى، توفيق العبقري، مصادر التفسير، وهو عبارة عن مقال من منشورات مجلة الحكمة.
25. أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط.
26. أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، تح. صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط1، 1420هـ.
27. أبو ستيت، الشحات محمد عبد الرحمن، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1412هـ.
28. أبو شهبة، محمد بن محمد، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، ط4.
29. الأدنه وي، أحمد بن محمد، طبقات المفسرين، تح. سليمان الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط1، 1417هـ.
30. اسماعيل، عز الدين، الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي، د.ط.

31. الأصفهاني، محمود بن عبد الرحمن، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، تح.محمد مظهر بقا، دار المدني، السعودية، ط1، 1406هـ.
32. الآمدي، الحسن بن بشر، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ.
33. بامخرمة، الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، دار المنهاج، جدة، ط1، 1428هـ
34. البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
35. البغا، مصطفى ديب، ومحيي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية، دمشق، ط2، 1418هـ.
36. البغوي، عبد الله بن محمد، معجم الصحابة، تح. محمد الامين، مكتبة دار البيان، الكويت، ط1، 1421هـ
37. البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ.
38. البوطي، محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ.
39. البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح.محمد عبد الرحمن العشماوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.
40. التنوخي، المفضل بن محمد ، تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، تح. عبد الفتاح الحلو)، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1412
41. الجاحظ، عمرو بن بحر ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ.
42. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح. محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1413هـ.
43. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح. أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ.
44. الحسيني، محمد بن علي، ذيل تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ. المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، تهذيب الكمال في اسماء الرجال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400هـ.
45. الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء، تح. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414هـ.

46. الخالدي، صلاح، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، ط1، 1419هـ.
47. خضر، محمد مشرف، بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم (رسالة دكتوراة في الآداب من جامعة طنطا، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، بإشراف أ.د. عبد الرحيم زلط، و أ.د. محمد عبد المطلب مصطفى، أ.د. محتار جبلي) .
48. الخطابي، حمد بن محمد، بيان إعجاز القرآن، (مطبوع ضمن كتاب: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم)، تح. محمد خلف الله أحمد و د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3.
49. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، تح. بشار عواد، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1422هـ.
50. الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن، الايضاح في علوم البلاغة، تح. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط3.
51. الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1975م.
52. الخفاجي، عبد الله بن محمد ، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط1، 1402هـ.
53. خفاجي، محمد عبد المنعم، الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1412هـ.
54. الداوودي، محمد بن علي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت.
55. دبور، محمد عبد الاله ، أسس بناء القصة من القرآن الكريم، دراسة أدبية ونقدية (رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الأدب والنقد، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالمنوفية، قسم الأدب والنقد، بإشراف أ.د. فتحي محمد أبو عيسى).
56. دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، دار القلم للنشر والتوزيع، ط2005م.
57. الذهبي، محمد بن أحمد، المعجم المختص بالمحدثين، تح. محمد الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، ط1، 1408هـ.
58. الذهبي، محمد بن أحمد ، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ط1427هـ
59. الذهبي، محمد بن أحمد ، تاريخ الإسلام، تح. بشار عواد، دار الغرب الاسلامي، ط1، 2003م.
60. الذهبي، محمد السيد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ط.

61. الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
62. الراغب، عبد السلام أحمد، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، ط1، 1422هـ.
63. رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم (المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
64. الرماني، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن الكريم، (مطبوع ضمن كتاب: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم)، تح. محمد خلف الله أحمد و د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3.
65. الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاؤه، ودار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1376هـ.
66. الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.
67. الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407.
68. الزمخشري، محمود بن عمرو، أساس البلاغة، تح. محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ.
69. السبكي، عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، هجر للطباعة، ط2، 1413هـ.
70. سطوف، عزوز، بلاغة مقام القص القرآني سورة يوسف أنموذجا (وهو بحث مكمل لنيل شهادة الماجستير في البلاغة وشعرية الخطاب، بإشراف أ.د. عمار ويس)، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009م.
71. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تح. محمدأبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط.1394هـ.
72. الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، د.ط، نشر عام 1997.
73. الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، ط24، 2000م.
74. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تح. أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ.
75. الظواهري، كاظم، بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، ط1، 1991م.
76. عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، دار الفرقان، ط10، 2005م.
77. عتر، نور الدين محمد، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، دمشق، ط1، 1414هـ.

78. عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1430هـ.
79. العسقلاني، أحمد بن علي ، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1326هـ.
80. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تح. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط .
81. القاسم، محمد أحمد، الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، ط1، 1399هـ.
82. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تح. أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ.
83. القرطبي، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412.
84. القطان، مناع بن خليل، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 1421هـ.
85. قطب، سيد، التصوير الفني في القران الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط16، 2002م.
86. قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط34، 2004م.
87. كحالة، عمر بن رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت.
88. ليونز، جون، اللغة وعلم اللغة، دار النهضة العربية، ط1.
89. المجلة الجامعة، العدد السادس عشر، مج 2، ابريل 2014م.
90. مطاوع، سعيد عطية، الإعجاز القصصي في القرآن، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2006م.
91. المطعني، عبد العظيم ابراهيم، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى من كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر، سنة 1974م)، مكتبة وهبة، ط1، 1413هـ.
92. الميداني، عبد الرحمن بن حسن، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، ط1، 1416هـ.
93. النابغة الذبياني، زياد بن معاوية، ديوان النابغة الذبياني، دار الكتاب الرعربي، ط1991م.
94. النبهان، محمد فاروق، المدخل إلى علوم القرآن الكريم ، دار عالم القرآن، حلب، ط1، 1426هـ.
95. نويهض، عادل، معجم المفسرين، مؤسسة نويهض، بيروت، ط3، 1409هـ.

96. ولي الله الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم، الفوز الكبير في أصول التفسير، دار الصحوة، القاهرة، ط2، 1407هـ.
97. ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء، تح. إحسان عباس، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1414هـ.

فهرس المحتويات

شكر وعرفان ..... ب
ملخص ..... ب
مقدمة ..... ه
الفصل التمهيدي للرسالة 1
المبحث الأول: مفهوم القصة. 1
المبحث الثاني: من أغراض القصص في القرآن: 2
المبحث الثالث: عناصر القصة القرآنية: 4
المطلب الأول: عنصر الشخصية: 4
المطلب الثاني: الأحداث في القصة القرآنية: 6
المطلب الثالث: عنصر الزمن 8
المطلب الرابع: عنصر المكان 8
المطلب الخامس: عنصر الفكرة 10
المطلب السادس: عنصر السرد القصصي 11
المبحث الرابع: تعريف الفجوة الفنية، ونشأة المصطلح: 12
المطلب الأول: تعريف الفجوة الفنية 12
المطلب الثاني: نشأة المصطلح: 13
المبحث السادس: بلاغة أسلوب الفجوة 14
الفصل الأول: 17
أغراض الفجوات في القصة القرآنية 17
المبحث الأول: الأغراض الفنية 17
المطلب الأول : الإيجاز 18
المطلب الثاني: 23
إثارة الخواطر وحفز حاسة التأويل لدى المتلقي 23
المطلب الثالث: إحياء المشاهد وتحقيق الحضور لها 25
المطلب الرابع: إثارة عنصر المفاجأة 27
المطلب الخامس: بيان اللهفة 31
المبحث الثاني: الأغراض الدينية للفجوة الفنية 33
المطلب الأول: التناسق مع السياق 34
المطلب الثاني: قطع السياق لوصف الحدث، و التعليق عليه. 37

المطلب الثالث: التعظيم. 41
المطلب الرابع: التحقير. 42
المطلب الرابع: عدم تشتيت السامع: 44
المطلب الخامس: 47
بيان السرعة: 47
المطلب السادس: بيان حتمية نفاذ القدرة الإلهية. 52
المطلب السابع: رعاية مقام النبوة وتنزيهها عن الزلل 54
المطلب الثامن: بيان شدة عجز الآلهة 56
الفصل الثاني: تقسيم الفجوات 57
المبحث الأول: تقسيم الفجوات بحسب أثرها في الزمان والمكان. 57
المطلب الأول: الفجوة الزمانية: 57
المطلب الثاني: الفجوة الزمانية والمكانية معا: 61
المبحث الثاني: تقسيم الفجوات بالنسبة لموضعها من القصة. 64
المطلب الأول: الفجوة الابتدائية. 64
المطلب الثاني: الفجوة في وسط الأحداث والفجوة الختامية 69
المبحث الثالث: 72
تقسيم الفجوات بالنسبة لطولها 72
المطلب الأول: الفجوة الطويلة 72
المطلب الثاني: الفجوة القصيرة 73
الفصل الثالث 76
ملء فجوات القصة القرآنية 76
المبحث الأول: ملء الفجوات بالقرآن 77
المطلب الأول: ملء الفجوات بالقرآن صراحة. 77
المطلب الثاني: ملء الفجوات بالقرآن دلالة. 80
المبحث الثاني: 90
ملء الفراغ بالرواية: 90
المطلب الأول: النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم 90
المطلب الثاني: النقل عن الصحابة 91
المطلب الثالث: النقل عن التابعين 92
المطلب الرابع: الإسرائيليات، وما لا يعلم أصله 95

الخاتمة 99
فهرس الآيات الكريمة 102
فهرس الأحاديث النبوية 106
فهرس الأعلام 107
ثبت المصادر والمراجع 108